ثرثرة

أنجبت بعثرة

رواية

حسن خلف حسين

بطاقة الكتاب

ثرثرة أنجبت بعثرة

حسن خلف حسين

رواية

رقم الإيداع : ١٥٩٥٥ / ٢٠١٩

الطبعة الأولى

عدد الصفحات : ١٤٤

تاريخ الإصدار: أغسطس ٢٠١٩

الإخراج الفني والمراجعة اللغوية

دار وادي عبقر للطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة

جابر الزهيري

المدير التنفيذي

لمياء حمدي

شارك في الإعداد الفني

أ / مها عبد الوهاب الجمل

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف ، ولا يحق لأى دار نشر طبع و نشر و توزيع الكتاب إلا بموافقة كتابية من الكاتب و الناشر

دار وادي عبقر

للطباعة و النشر و التوزيع

بيت الإبداع .. و موطن العبقرة

wadiabkr.wixsite.com/wadiabkr

wadiabkar@gmail.com

www.facebook/ wadiabkar

www.youtube.com/ wadiabkr /

٠١١٤١٧٢٨٦٢٥

ت : ٠١١٠٠٤٧٤٥٧٥

ت : ٠١٢٢٤٩٦٩٠٤٨

ت : ٠١٢٢١٤٨١٨٥٦

إهداء

إلى روحك يا أُمّي : فما وجدت حنانًا بعدك
اللهم كُن بفضلك وكرمك لها الحنّان المنّان.

إلى روحك يا أبي : ما أطيبك يا طيّب
اللهم طيّب له ثراه ، و طيّب مقامه .

" ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا "

و إليك ....
يا من اخترت أن يكون يوم عرسك موافقًا يوم مولدي ٢٤ أغسطس
العزيز ابن شقيقتي الشاب الرائع / أحمد فرج
وعروسه الجميلة / هدير رفاعي

حسن خلف حسين

كلمة المؤلف

جاءت فكرة هذه الرواية لتنقل واقعًا نعيشه، و إن كان فيه من المرارة الكثير، فأحداثها و شخصياتها أتت زاحفة بطبيعتها إلى عقلي و قلمي، تحثهما لرصدها بعناية، فالعلاقة التي صارت بيني و بينهم، ظلّت تطرق فوق رأس قلمي طرقاتٍ تدفعه نحو سطر حروفها بالصدق، فهي نماذج موجودة بالفعل في كل مجتمعاتنا، فتركتها تسبح مع القلم و يسبح داخلها ليعبر بالعين الراصدة فيما يكتب .

و بعدما كتبت و ازدادت قناعتي كأديب يرصد بعين اللغة لتلك الشخوص بدقة، تعمّدت بجاذبية الراصد؛ أن أجعل غلافًا من التحذير قدر إمكاني حتى يبقى الأثر جليّا للقارئ؛ دون خلل بالمعنى المقصود .

فيا من إذا أيقظتم الروح فيكم لتسمون بها محلّقين نحو نور الصمت، و الكف عن الثرثرة في حق الورى و اعتبرتموها لحمًا ميتا فكرهتموه لتتطهّر الروح المستعدة للنقاء حينها ، و تستحق السمو؛ سلامًا على روحي و أرواحكم، و من أتى بي إليكم بقلب طيّب أمتلكه و امتلكني كي أشارككم موقعكم، غريبًا عنكم ربما أكون يومًا ما منكم؛ إذا قبلتم مني الرجاء و الأمل في طهر نفوسكم .

حسن خلف حسين

الفصل الأول

طرقٌ عنيفٌ على الباب الخشبي كاد يزلزله لينخلع معه، فُزع " ناجي " النائم منذ ساعةٍ واحدةٍ بعد أداء صلاة الفجر بالمسجد المجاور لمسكنه، فهو مقيمٌ بمفرده؛ لم يتوقع زيارة أحدٍ له في هذا الوقت، قام من ثباته يبتلع ريقه محاولاً الثبات فوق قدميه المهتزّة صائحًا :

- مين ؟

- افتح يا ناجي.. المباحث، افتح بسرعة بدل ما نفسخ الباب.

- طيب.. طيب، انا هافتح اهو، جاي.. اصبر شويّه.

- قولتلك افتح أحسن، بلاش لكاعه.

يزداد ناجي رعبًا و يقلّب سريعًا في رأسه التي التهبت فجأة ، فلم يجد في أفعاله ما يستدعي وجود المباحث، فتح ليحدّث من بدا له من هيئته أنه ضابط المباحث متسائلا :

- خير يا حضرة الضابط، فيه إيه؟

تجاهله الضابط، و أمر جنديين مرافقين له بيد كلا منهما رشاش بالدخول للتفتيش، انتهيا من تفتيش المسكن و إعطاء حضرة الضابط إشارة التمام أنهما لم يعثرا على شيء، الذهول لازال يسيطرعلى ملامح ناجي الذي كرر نفس السؤال، و لم يجد إلا صمتًا، فسأل متحذلقًا :

- على كده حضرتك معاك إذن نيابة ؟

الإجابة كانت سريعة برفعه فوق أيدي الزائرين، وسط مقاومة منه رغم كونها لن تفيد، و تم إلقاؤه بعنف في سيارة الشرطة المنتظرة أمام العمارة، و الإسراع به و هو مُكوم داخلها محشورًا بين أربعة رجالٍ أشداء، على نفس النهج وجد نفسه واقفًا في غرفةٍ شبه مظلمة و بدأ التحقيق.

" ناجي " يسكن في المنطقة القديمة الهادئة بالمدينة، مبانيها تأسست علي ارتفاع لا يتعدّى الطوابق الثلاثة، و لكن زادت الارتفاعات بعد هدم منزلٍ لتحل محله عمارة تتجاوز الخمسة طوابق، و أحيانًا أكثر حسب عرض الشارع ، في هذه المنطقة القديمة تكاد تنعدم الخصوصية، فالجميع يعرف كل التفاصيل عن بعضهم البعض، فإذا علا صوت أي منهم داخل مسكنه ؛ سمع سكان الشارع من أوله؛ و عرفوا أن هناك مشكلة ما؛ و ترتقي الآذان لتفاصيل المشكلة و أطرافها من زوجة كانت ، أم من أبناء.

إذا أتي ساكنٌ جديدٌ؛ ولم يكن له معهم أي تاريخ من قبل؛ أصبح هدفًا لهم فلابد من معرفة كل تفاصيل حياته، يتابعونه بكل دِقة و قلقٍ و فضولٍ غير عادي، و بكل الطرق الشرعية و غير الشرعية ، يتناقلون فيما بينهم تحركاته و طباعه، حتي زائريه، فالأصل لديهم عدم الثقة في هذا الغريب الذي اقتحم حياتهم المكشوفة و المفضوحة، لا حرج لديهم في توجيه كافة الأسئلة بلطف؛ أو حتى بالتحقيق السخيف معه، و كل من يستطيع منهم أن يعرف أي معلومة عن أي شخص؛ يسرع بنقلها إلى باقي الساكنين القدامى الذين يعتبرون أن الشارع و كل من فيه ملكيّة خاصة بهم.

العمارة التي يسكن بها ناجي مؤلفة من طابقين، أمامها عمارة أخرى من البناء الحديث تتألف من خمسة طوابق و تطل على ناصيتين، يمتلكها " كمال الدمياطي" رجلٌ خمسيني العمر ، قصير القمة، مكتظ البدن، واسع العينين ذو شعرٍ خفيفٍ غزاه الشيب و رأسٍ كبيرة الحجم، له (كرش) متوسط الحجم غير مزعج، صوته هادئ متحشرج، عندما يتحدث ؛ يتردد كثيرًا فهو دائم المراجعة لما يقوله في عقله مراتٍ قبل النطق به، يرتدي الملابس المستعملة و يتباهى بذلك قائلاً أنه زاهدٌ في الدنيا، و لا يحب الإنفاق على ما هو زائل، بل يجب على الناس إنفاق أموالهم في العقارات، أما باقي مناحي الحياة فلا تهم.

كمال يسكن في عمارته الحديثة الأنيقة التي يُفتح بابها إليكترونيًا بما عليه من زخارفٍ بديعة الجمال، لذا قرر ألا يكون للعمارة حارسٌ يرعاها، وهكذا اشترط عند التعاقد مع المنتفعين من مالكي الوحدات السكنية، فهذا الشرط قد حقق له رغبته في احتلال الغرفة المخصصة للحارس، و أصبحت سكنًا بسيطًا له بالدورالأرضي، هذه الفكرة جعلته مثارًا للسخرية من أهالي الشارع، فهم يتهمونه فيها بالبخل الصعب، بل زادت سخريتهم عندماعلموا في لحظة بلاهةٍ منه - على غير عادته - عندما أفاض بسرٍ إلي أحدهم في وقت انسجام بأنه يمتلك رصيدًا بنكيًا يزيد عن خمسة وعشرين مليون جنيهًا، بالطبع هذا الخبر أصبح حديث بيوت الشارع كلها؛ فليس بينهم أسرار، و عليهم التخفيف عن كاهلهم معاناة الاحتفاظ بسرٍ كهذا، أو أقل منه.

الاستثناء من قاعدة نشر الفضايح " رئيفة " و هي امرأة ريفية، أرملة، شديدة البياض، ممتلئة القوام، ترتدي جلابيب فضفاضة فاقعة اللون مع طرحة بيضاء تغطي رأسها، لها عينان واسعتان حدقتيهما عسلية اللون و لها صوتٌ هادئ بلهجة أهل الريف الطيبيين، جميع سكان الشارع يحبونها و لا يتتبعون خطاها، كوّن أن تحركاتها واضحة المعالم منذ قدومها إلى شارعهم، فهي تبيع الزبد و الفطير المشلتت و البيض البلدي و أحيانًا بعض الطيور، تأتي" رئيفة " من قريتها مرتين خلال الأسبوع بانتظام، تفترش رصيف عمارة كمال الدمياطي لبيع ما تجلبه.

تأتي بها سيارة ربع نقل مع بضاعتها الطازجة و معظم ما تأتي به محجوز مُسبقًا من قبل سكان الشارع، و مع آذان الظهر تخلصت مما معها من بضاعة.

أهل الريف طبيعتهم الاعتراف بالجميل و من قدمه لهم، فهي تدين بالفضل لصاحب العمارة التي تفترش الرصيف الخاص بها لتعرض عليه ما أتت به من بضائع تتربح من بيعها، لذا كل مرة تأتي الشارع تحمل معها بعض الأطعمة الخاصة لكمال دون مقابل، ما تفعله رئيفة من كرم تجاه كمال جعل سعادته يوم قدومها لا يوصف، عندما يراها يتهلل الوجه منه و ينطلق اللسان على غير طبيعته، فهنا لا يراجع عقله فيما يقوله لها فهنا المعدة والقلب يتحدثان.

- حمد الله ع السلامه يا رئيفه، مستنيكي من الفجر أبص عليكي من السطح لغاية ما جيتي.

رئيفة ترد في خجل ليزداد الوجه حمرة و تقول :

- جبتلك طلبك، فطيرة بالسمنة البلدي مخصوص غير اللي بابيعهم، و كمان جبت طاجن بامية باللحم الضاني، بالهنا يا سي كمال.
- الله يخليكي ليا و ما يحرمنيش مجايبك، كتير بابقى مكسوف منك.
- مافيش بينا كسوف يا راجل، بقالنا سنتين نعرف بعض، كافيين إننا نحفظ بعض.
يفهم كمال ما ترمي إليه رئيفة و يريد الهروب :
- طيب أفوت عليكي قبل ما تمشي، سلام.
- فيه إيه ياخويا، هي خلصت حاجتى من جارتي ؟ إذنك معاك و خليك براحتك و شوفك.
- يا رئيفة يا حتة لحمة و حتة حلاوة نيفة يا رئيفة، إنتي عارفة مبدأي، و مش عايزك تزعلي مني يا قمر.
- أسمع كلامك أصدقك، أشوف أمورك استعجب، هو فيه حد في الدنيا يكون مبدأه إنه مش عايز يتجوز عشان مايجبش واحدة ست تاخذ فلوسه لما يموت؟ بطلوا ده و اسمعوا ده.
- وطّي صوتك، الله يهديكي، هنا الودان ليها حيطان، أنا ماشي و عايزك لما تيجي بعد يومين ماتنسيش تجيبي الرز المعمر مع حمامتين على ذوقك، و نتفاهم مع بعض في الموضوع ده.
- كل مرّة توعدني و تخلع و اشمعنى بعد يومين؟ فكرتني بأغنية سمعتها في العربية، قال جاني بعد يومين يشكيلي بدمع العين، يشكي من حب جديد.. يحكي و أنا قلبي شهيد....
رد كمال بعصبية :

- يا وليه وطي صوتك، أهو فاروق النجار سمع صوتك و بيبص علينا، النهارده الشارع كله هتبقى حكايته رئيفة بتغني لكمال...

يتركها و يمشي نحو عمارته الأنيقة بينما عينيها تتابعه بحسرة وهو يسير فاتحًا رجليه على هيئة العدد سبعة حتي يتمكّن من توزيع ثقل بدنه عليهما.

ورشة النجار " فاروق العبيط " كما يلقّبونه أهل الشارع من وراء ظهره ملاصقة لعمارة كمال فهي تقع أسفل منزلٍ قديمٍ مازال صامدًا رغم مرور عشرات السنين، فاروق متوسط العمر يتميز بنظرته الثاقبة فهو أعمش يطيل النظر فيمن أمامه و حوله متفحّصًا إياهم بلا هوادة و لا يهمه النوع أكان ذكرًا أم أنثي بل تزداد فترة النظرة إذا كانت أنثى، هو رقيق الجسم متوسط الطول ، يتلعثم في كلامه و يسحب نهاية الكلمات متخيّلاً أنه يستفيض الشرح لمن يسمعه، عندما يكون لديه عمل على المنضدة " التارجة " وقت العمل موزع بين دق مسمار و نظرة متابعة على المارة، من يتعامل معه مؤكد لا يعرفه فأي عماية تسند إليه يضاعف لها الوقت المحدد.

كمال يلقي على فاروق العبيط تحية الصباح و يسأله :

- إيه الأخبار؟

يتنهّد فاروق و يحكي له بكل دقة أحداث الشارع التي حدثت بالأمس بالتفصيل؛ مع تعقيبه الذي يتماشى مع درجة ارتياحه لمن يتحدّث عنهم من خلال مراقبته على مدار الساعة حتى يحين موعد إغلاق الورشة.

فصل الصيف هذا العام شديد الحرارة على أنحاء البلاد، أهالي الشارع يفضّلون البقاء في منازلهم عدا من يضطر الذهاب إلى عمله و يعود مسرعًا إلى حرارة لطيفة داخل منزله، ما دامت المنازل معظمها منخفضة فهي فرصة للشمس أن تخترق البيوت دون حواجز تعترضها فالنهار رقابة البعض للبعض و متابعة الأحوال تبقى ضعيفة إلي أن تكسر الشمس حدتها و يبدأ النشاط الممتع للجميع.

اليوم نهاية شهر يوليو موعد دفع إيجار شقة " ناجي " و التي استأجرها من " علاء الدياسطي " صاحب العمارة ذات الطابقين و التي تقع مباشرة أمام عمارة كمال الدمياطي الفخمة صدفة جمعت بينهما حيث لا يعرفه جيدًا من قبل، و لما توالت اللقاءات بينهما، عرفه حق المعرفة وتمنّى أن يزول هذا الكابوس المزعج عنه.

" علاء الدياسطي " أو علاء باشا كما يحب أن ينادوه رجل يعتد بنفسه فوق الوصف، أنيق الملبس متوسط الطول و الحجم يهتم بتفاصيل ما يرتدي حتى الحذاء لامعًا دومًا، الوجه مثلث حاد الملامح و العينين ضيقتان غير ثابتي النظرة، يسير بخطوات أنه يبلغ الجبال طولاً مختالاً يدق الأرض بنعل حذائه ليعلن عن قدومه حتى و إن تعامل مع كشك السجائر التي يدخنها بشراهة و يمسك السيجارة بطريقة مبالغ فيها، شعره خفيف أقرب إلى الصلع، يداوم علي حلاقته مع اللحية نوع من الاعتداد بالمظهر الذي يتناسب مع اللقب المحبب " باشا ".

قناعة علاء الدياسطي أنه يمتلك برج التجارة العالمي بنيويورك أو على الأقل برج " خليفة " في دبي، يتحدث عن منزله الطابقين بفخر المالكين و عزة الوارثين، منذ لقائه الأول مع ناجي أسهب و أطال في الحديث عن معاركه الضارية التي خاضها مع الجميع للحفاظ على هذا الصرح العظيم؛ لدرجة أنه التقى بسيادة محافظ المدينة لحل مشكلة انسداد الصرف الصحي في برجه الشاهق الذي لا يزيد ارتفاعه عن سبعة أمتار، إذا تحدث في موضوع إلي ناجي، فعليه – بحكم كونه مستأجرًا - أن يستمع و ينبهر طوال الحديث بإنجازاته و جرأته؛ بل لا يوقفه؛ حتى يتوقف من نفسه ليأخذ استراحةً بعد جفاف حلقه كي يعود و يكمل.

سمع ناجي دقات كعب حذاء علاء الدياسطي على الدرج فتأكد من وصول سيادته، ففتح له الباب مُرحّبًا بقدومه المنتظر بشوق غير محدود، سماعة أذن الهاتف المحمول معلّقة؛ و الهاتف المحمول الآخر في جيبه، مسح حذائه تمام باب الشقة بطريقةٍ مبالغ فيها، و دخل متفحّصًا المنزل و قال :

- و الله واحشني قوي يا ناجي، كنت عايز أفوت عليك قبل كده بس مشاغل كتير لا تنتهي، ادعيلي أخلص منها، إحنا في بلد متخلّفة في كل حاجة، إمبارح اتصلت برئيس قطاع الكهربا بمدن القناة كلها عشان المحصّل ماخدش قراية الشقة، و كان عايز يدخّلنا في الاستهلاك على شريحة عالية، قولتله : اسمع أنا فاهم الألاعيب بتاعتكم دي، خليت عقله طار، و قالي : يا علاء باشا اطمّن أنا هتابع استهلاك شقتك بنفسي، طبعا هتسألني عرف اسمي منين ؟

- آه صحيح !

اعتدل في جلسته، و كأنه يلقي بيان الثورة :

- من " التروكولر"

و انتظر ليرى الانبهار في عين ناجي، و كأنه متخلف لم يسبق له سماع أية حديثٍ عن عالم الفضاء الافتراضي، فلما وجد في عينيه ما أراد؛ أردف يقول :

- إنت عارف إني متواصل مع جوجل نفسه ؟ لدرجة إنه غيّر بعض " الأبلكيشانز" عشاني ؟ و قالوا لي : مستر علاء بليز أي ملاحظة منك على تطبيقاتنا أرجوك بلغنا بيها في التو و اللحظة.

أراد ناجي التخفيف عما أصابه من الحديث عالي المستوى، برغم أنه كذب على علاء و قال له انه حاصل على مؤهل جامعي؛ و الحقيقة أنه لم يحصل إلا على دبلوم تجارة، قام متسائلاً :

- تشرب شاي معايا و الاّ قهوة، و الاّ أعملك فطار؟

كان علاء يضع ساقًا فوق ساق، و قد أصبحت ملامحه حادة ؛ خاصة ذلك الوجه الحاد بطبيعته، و قال بصوت هادئ متمكن :

- لا لا يا ناجي، أنا ليّا نظام خاص جدّا في الفطار ، أقوم من نومي، أجيب حتتين توست بعسل نحل و أحط عليهم جبنة كريمي مخصوص و بعدين واحد نسكافيه ثلاثي الأبعاد عشان الكوليسترول، أما الشاي ليّا الشاي مخصوص بيجيلي من إنجلترا و القهوة أشربها مغليّة بُن وسط سادة من نوع معين.

نظر إليه ناجي؛ ثم طأطأ رأسه يلعن الساعة التي فكّر فيها القيام بواجب الضيافة معه؛ ثم انصرف ليشغل نفسه بأي شيء كي يستريح قليلاً، بينما هو بالمطبخ وجد علاء بجواره؛ يكمل له مدى اهتمامه بالعمارة ملكيته و كم تصدّى لكل المحاولات الشرسة من جميع من حوله للحفاظ عليها من براثن الجميع المسنونة، لم يجد ناجي مفرًا من استئذانه لدخول الحمام.

عاد ناجي إلى علاء، و سلّمه القيمة الإيجارية الشهرية للشقة، فقام علاء بعدّها لمرّاتٍ و فِي كل مرّةٍ ينظر إلي ناجي متأففًا؛ و كأنه يقول :

- إيه الملاليم دي ؟ لابد أن ترحل.

تجاهل ناجي نظراته بما فيها من كلمات قائلاً :

- صلاة الضهر وجبت، هانزل أصلّي في الجامع اللي تحت، تعالى صلّي معايا.

قام علاء مضطرًا للانصراف، و بنفس الصوت المرتفع الغير مبرر قال و هو خارج الباب:

- ابقى هات حد ينضف السلّم، و قولي التكلفة كام.

ثم أكمل بصوت أعلى، و كأنه يخطب في المحاربين :

- أصل أنا بصفتي رئيس اتحاد الشاغلين و كمان أنا رئيس مجلس إدارة الشركة اللي تحت، و العضو المنتدب و صاحب شركة النقل البحري الخاصة بيا و مقرها الدور اللي فوق.

- و أنا ناجي الغلبان وعايز أروح أصلي في الجامع و مقره تحت، أتاه شعور أنه قزم في هذه الحياة بالمقارنة بهذا العملاق الخاوي من الجهات الأربعة.

يودعه علاء أسفل العمارة قائلاً له :

- إنت هتروح تصلّي؟ أنا بقى ليا نظام خاص في الصلا، بعدين أقولك عليه.
- فعلا إنت خاص في كل حاجه، سلامو عليكم علاء باشا.

ناجي رجل تخطى الأربعين عامًا بقليل فشل بإقتدار في كل قصص الحب التي عاشها وأصابته الخيبات متتالية إلي أن خضع و استسلم لقناعته حتى لا تزداد أوجاعه النفسية بأن كل من قابلهم من فتيات و سيدات لم يرتقوا لمطالبه عندهم، لذا قرر ألا يفكر في الزواج مادام حيّا، استقل بنفسه عن عمد للهروب من أهله خاصة أخواته الذين يحثونه بإلحاح أن يبني له بيتًا و ينشئ أسرة، و قد اكتفى بالسؤال عنهم هاتفيًا و إذا زاره أحدهم أصبح هو و زائره حديث الصباح و المساء في شارع الثرثرة و له الجزاء جراء نميمتهم من رب الأرض و السماء.

أقبل فاروق النجار و الملقّب في ظهر غيبه فاروق العبيط نحو رئيفة بائعة الأطعمة الفلاحي و العارضة لها فوق رصيف كمال الدمياطي و قال لها مبتسمًا و هو يعدل الكاب الأحمر الذي يرتديه ليل نهار و بصوته المهزوز :
- فعلا إيه الاخبار؟

ذلك السؤال، بهذه الصيغة أصبح في صيغته تلك لأهل الشارع عامة عدا ناجي الغريب بينهم بمعنى " هات كل ما في جوفك من أخبار و معلومات خاصة أو عامة، و علينا التحليل " و لا يكتفي الواحد منهم بمجرد أنه ناقل للخبر بل يضع و يضيف لمساته الشخصية حسب هواه و ثقافته و اهتماماته.

مصمصت رئيفة شفتيها بصوتٍ مسموع و قالت :

- زي ما هو ياخد الأكل اللي بجيبهوله، و يجري على أوضته في عمارته لا وعد، و لا حتى كلمة حلوة تبل الريق النشفان.

ينظر إليها فاروق في خبثٍ نظرةً طويلةً بعينيه العمشاوين و يقول :

- يا وليه أنا سامعك، و إنتي بتغني، مزاجك فوق الشوق و عملت عبيط.

فاندفعت بالرد :

- يعني ما كذبوش لما بيقولوا عليك عبيط، إنت عايز إيه يا فاروق مني إنت كمان ؟

في نعومة، و قد أغمض عينيه أكثر مما هي عليه بطبيعتها قال فاروق :

- يا بت قولتلك سيبك منه وانا موجود، صحيح ماحيلتيش فلوس زيّه، بس فييس وادلعك.

- يا فاروق مش هانعيده، إنت آخرك يا ضنايا تصرف علي مراتك و ولادك، و لو السوق واقف تبقى عايز اللي يصرف عليك إنت و همّا، خلي الطابق مستور، فين بقى فلوس الزبدة و البيض اللي خدتهم مني الأسبوع اللي فات؟ أنا باجري على يتامى و شقيانة، يعني عايزه اللي يريّحني أنا و ولادي، و كمال ميزته مش هيقدر يجيب عيال، يبقى يجيب لنا الأكل و الكسوة و كتّر خيره، و نيجي نعيش هنا و أنسى الزريبة و الفرن اللي بنام جنبهم، يلا بقى ورّيني عرض أكتافك، و هات الفلوس اللي عليك قبل ما أمشي.

يرد غاضبا من كلماتها :

- كده يا رئيفة ؟ تأ تأ تأ

تضحك رئيفة و ترد مندفعة :

- تأ تأ إيه ؟ ما كنت يا اخويا بربنض، و لسانك مبرد، لما جت سيرة الفلوس بقى اللي عليك تأ تأ.

- أء أء أء....

- و كمان هتأوأو؟ يا دي الخيبة، روح يا فاروق إنت ماطلعتش عبيط، دا عبيط اللي يقول عليك عبيط، يلا يا ضنايا على ورشتك؛ العيون طلعت تطل من البلكونات، تعالى خدلك فطيرتين لأولادك عشان اشطب، و ماتخافش مش هتدفع، و حط عيشة على أم الخير.

ارتسمت السعادة على وجهه فرد ببشاشة :

- ماشي يا رئيفة، تشكري.

- أومال راحت فين التأتأة والمأمأة ؟

دخل ناجي المسجد رغم أنه اعتياده عليه من قبل إلا في صلاة الجمعة وسط نظرات المريدين المتفحصة له في هدوءٍ و لؤمٍ و اختلاس نظراتهم إليه، يلمح من يغطُّ في نومه بأحد المقاعد الخلفية المخصصة لكبار السن و العجزة؛ أثناء إقامة الصلاة غير واع بما يدور حوله من حركات المصلين و توجيهات الإمام بالتكبير للركوع و السجود و القيام، كان ذلك النائم هو صاحب العمارة الأنيقة التي تقع أمام مسكنه " كمال الدمياطى " المليونير البخيل.

الفصل الثاني

تغيب شمس الله عن الشارع، و تختفي معها روائح مختلف الأطعمة التي هبّت نسائمها، و ملأت المناور المشتركة بين أربعة بيوتٍ أو ثلاثة حسب موقعها، المنور يشاهد بكل دقة ما يحدث داخل البيوت التي يجمعها من أركانه للتنفيس بينها، و كذلك يري و يسمع كل التفاصيل و الأسرار و لكنه لا يبوح بها لأحد ، خاصة إطلالته على المطابخ و الحمامات، و ما أدراك ما يحدث في الحمامات، فالمنور يخالف طباع أهل الشارع، لا يبوح ، يرى فيستحي.. يسمع فيخجل مما سمع.. يشم فينتعش أو يصاب بالقرف.. و في جميع أحواله هو الحافظ الأمين لكل الفعاليات حوله، لو نطق و باح بما لديه لتهدمت بيوت و خرّبت عائلات بأسرها.

عند وصول ناجي لهذه المنطقة الهادئة منذ شهور قليلة كانت أذنيه تنفر و الرأس يفور لما يصل من الجيران عبر المنور الصامد بمواجهة الفضائح مختلفة الأشكال و الألوان خاصة بعد منتصف الليل و في الصباح الباكر، فلا مانع من صراخ طفلٍ لفترةٍ طويلةٍ دون تدخل أحد، أو مشاجرة بين أمٍ و أطفالها (عفاريت الطباع)، أو امرأة بعينها تصرخ منادية الجيران في الطابق الأسفل منها كي يغلقوا المياه حتى تتمكن من الاستحمام، بينما هم لا يستجيبون لندائها المتكرر، مما يجعلها تستشيط غضبًا و تسبّهم بالاسم، و هنا يلبون النداء

الملعون، بعدها تبدأ في الغناء بصوت ماعزٍ عضها الجوع، إلي أن تنتهي من حمام الهناء اليومي في الصباح الباكر.

لاحظ ناجي أن هناك امرأة متوسطة العمر، بيضاء حلوة الملامح ، تسكن في عمارة في الجانب الآخر من الشارع بزاوية مما يجعل رؤيتها لكل تحركاته غاية في الوضوح، بعد غسيل ملابسه و تلك مهمة ثقيلة لابد منها، الطبيعي أن يقوم بنشرها على الحبال المعدة لذلك لتجف، تلك الفرصة الوحيدة التي يضطر بها للوقوف فترة من الوقت بالبلكونة حتي ينتهي من مهمة نشر الغسيل، و تلك فرصة ذهبية للمرأة كي تتفحّص ناجي بكل دقة و بشكلٍ مباشرٍ دون حياء، فإذا نظر ناحيتها لا تشيح وجهها بل تستمر في التركيز ناحيته، و كأنها تريد أن تقول له الكثير ما في نفسها.

إنها الآنسة " آمال العيوطي " البالغة من العمر ثمانية و ثلاثين ربيعًا، لم تحظ بنيل شرف الزواج بعد، تسكن في بيت أبيها حتى يأتيها الفارس بالحصان الأبيض ليؤثث لها عش الزوجية، كلما تقدمت في العمر، كانت تتنازل شيئًا فشيئًا عن مطالبها، حتى وصل الحال بها أن ترتضي بالعربجي بديلاً عن الفارس، فليأت ممتطيًا حماره إلي منزل أبيها الراحل، لتركب خلفه على حماره كي يتبختر بها في الشارع الذي يعلم أنها خالية بلا زوج حنون، فليأت أيا كانت ركوبته.

متابعتها الدائمة لتحركات ناجي أعطتها الأمل في توفر فرصةٍ قد لا تتكرر، عسى أن يكون هذا الأعزب و هو القريب من مسكن أسرتها هو الأولي بأنوثتها، و خدماتها تغنيه عن قلق

الوحدة المميت التي تعرفه، خاصة في ليالي الشتاء الطويلة، و أيضًا هي سيدة منزل من طراز الكفاح و الجودة، ما عليها سوى التخطيط الهادئ في كيفية رمي شباكها بفطنةٍ و ذكاء حتى يقع هذا المسكين، ليكون العربجي المنشود.

" أم سماح " امرأة غريبة عن المنطقة تسكن بالإيجار في الدور الأرضي المجاور لورشة النجار فاروق العبيط، أتت من مدينة الأسكندرية الجميلة و العريقة لتختار المنطقة مستقرًا لها، بعدما تزوجت ابنتها الوحيدة سماح من شابٍ ينتمي للمدينة، حتى تكون قريبةً منها، فهي علي حد قولها لجيرانها كي يتعاطفوا معها " أنها مقطوعة من شجرة "، و أي أرض هي مستقر لها، نجحت في كسب تعاطف الجميع بلهجة أهل الأسكندرية المميّزة و المحبّبة للأذن، سرعان ما اندمجت مع الجميع، بعدما عرفت طبائعهم و ما يرغبونه من شروط الاندماج معهم و الألفة، و إلا وقعت تحت أجهزة التلسكوب و التتبع إذا أعجبها هذا، و أما الرحيل.

هي امرأة بدينة جدًا بطريقة تفوق الوصف، لا تعرف أين ملامحها لتحديدها؛ فكل الأجزاء مدكوكة و كأنها اختلطت في بعضها فأصبحت كتلةً واحدةً، الواضح منها الرأس فحسب، ليبدو للناظر إليها أن هناك امرأة كانت في شبابها حلوة الملامح ناعمة الملمس أيام رشاقتها الزائلة، يقترب عمرها من الستين و إن كان صوتها فيه رقة فتاة الثلاثين، إن جلست فوق الأريكة التي أعدها فاروق النجار لها، تلتصق بها، فلا تقوم من فوقها

إلا بمساعدة فردين على الأقل وعكازها الذي أصبح عديم الفائدة شكلاً و مضمونًا.

ألقت تحية المساء الجميل علي فاروق الذي رد التحية مبتسمًا و مُرحبًا مع التأتأة الطبيعية و سألها سؤال أهل الشارع التقليدي :

- إيه الأخبار يا أم سماح؟

- الجو كان هادي شوية، العيال بس بيلعبوا الكورة و وجعوا دماغي، أيووه يا ولاد معجونين بمية عفاريت، إحنا في إسكندرية نقولوا للواد بس يا حمو بدل ما نقولوا لامّك، طوالي يتحط و لا يفتح بوقه، هنا يا فاروق نقولوا له يقولك طب روحي يا حاجة، أمّي و لا هتعمل لي حاجة، و لسه البت آمال عينها علي الجدع الجديد ده اللي اسمه ناجي لغاية ما نزل يتدلع رايح على قهوة الصُيع حتي اسمها غريب قهوة " الحاج بوبوس " أني برضه اتطقّست ع الاسم من غرابته لقيته الله يرحمه بقى الحاج بوبوس مات، و يمشي يا اخويا وعامل فيها قمع ، لمحته و هو بيبص علي البت آمال و حط إيده على راسه يديها السلام ، و لقيتهم بيضحكوا لبعض، و هو بيفسخ سنانه زي دكر الأرنب الفقري اللي راح عشة الفراخ، وعضوا له ودنه.

اندهش فاروق فقال :

- تيجي إزاي دي بقى، و هو ماشي و عاطيكي ضهره، شوفتي ضحكته إزاي يا ناصحة ؟

تضحك ضحكة عالية و تقول ساخرة :

- يخيّبك يا فاروق؛ قاعدتلي كده ع الواحدة ؟ نشيلوا بعضينا و نفوتوا، و ماتقعدش ع الواحدة و نص ها ها ها، قولي إنت بقى : إيه الأخبار؟

كان في بالغ السعادة فقد آن الأوان لتفريغ حمولة جوفه :

- لسه كمال الدمياطي المعفن " الإيحه " تقلان ع البت الفلاحة اللئيمة رئيفة، آه يا سلام يا أم سماح لو يرضى تتجوزه، و بعدين ربنا يفتكره، و تورث فلوسه و عماراته، ساعتها أتقدم لها و أنا مرتاح...

ثم أخذ يتحدث كالحالم :

- افتح وقتها ورشة تصنيع خشب كبيرة قوي، و معرض موبيليا في الخمس محلات اللي تحت عمارة المرحوم، و أجيب عيالي من الحتة المعفنة اللي قاعدين فيها، و أجيب شاليه ع البحر و.....

- فاروق يا فاروق، صدق اللي قال عليك عبيط، جوّزت الراجل و موتته و اتجوزت مراته بعد ما ورثت، كل ده في دقيقة هطل عشتها يا أخويا ؟

رد عليها منفعلاً :

- ما فيش حاجة بعيدة على ربنا.

- ربنا ياخد عبطك و يديك الهبل بوسع ها ها ها، كمّل بقى و قولي إيه الأخبار؟

يعود فاروق للمتعة في نشر ما لديه من أخبار الشارع :

- الوله اللي كنت فاكره دكر، طلع خيخة.

- مين فيهم؟ أهو الشارع مليان.

- الوله " علي " جوز " ميرفت " بتاع الجمرك، مراته دبّت معاه حتة دين خناقة، فرّجت عليه الشارع و مسحت بكرامته الأرض، اللي يجننك إن أخوه حب يتدخل أديته " من المنقي خيار" ما خلتش له كرامة هو التاني، و اللي يضحكك مرات أخوه برضه ، قعدت تزعأ لأخوه و تقوله : إنت مالك ما تسيبها توضبه و تاخد حقها منه كلكم شبه بعض.

- والله جدعة، آني نحترم الست العُقر اللي تدي جوزها على راسه لما يغلط.

- خلي بالك العيلة دي كل رجالتها خورء قماش مقطعة ، إسأليني أنا، عايش معاهم سنين عيلة " أبوستيت " دي أعرفهم كويس، الأكاده أن رجالتهم برّه البيت عاملين فيها فناطيس فاضية، و الواحد منهم حلّة فاضية من غير غطا.

- كفاية بقى يا فاروق بلاش نجيب سيرة الناس، قولي بقى أخبار مراتك إيه ؟ عشان هاكلمك عن سماح و جوزها الله يحرقه.

- خليها بكرة، الوقت اتأخر، هاقوم أقفل و أروّح ، ماتنسيش لما يرجع ناجي تشوفيه لوحده و لاّ حد معاه، أنا شاكك في الجدع ده اللي عامل نفسه طيّب و بيصلّي، بس شكله كده سهون.

عمل ناجي مريح، فالوظيفة في إدارة التموين لا تتطلب جهدًا أو حتى مهارات ما جعله من السهل عليه الخروج في أي وقتٍ من مقر عمله بدعوى أن لديه مأموريةً خارجيةً في أسواق المدينة، هذا الوضع سهّل عليه شراء احتياجات منزله بأسعار مناسبة غير مبالغ فيها، فموقع السوق قريب من المقهي التي يرتادها، و التي بها بدورها روادها القدامى الذين يتابعونه مثل

سكان الشارع، ماذا يشرب، و نوع السجائر الخاصة به..، كيف يجلس ..، ماذا يقول بالهاتف؟..، و أوقات حضوره المتكررة خلال اليوم ما سببها ؟..، و لماذا يهتم باستخدام هاتفه المحمول باستمرار؟ و أيضًا لماذا يجلس دائمًا بمفرده ؟

يرتاد مقهى الحاج بوبوس نماذجٌ غريبة الأطوار و الأعمار و الثقافات، ذلك لكونها قريبة من قسم الشرطة، فلا تخلو خلال ساعات اليوم من أمناء الشرطة و المخبرين و أحيانًا بعض الضباط في زي مدني، فكل رتبةٍ معروفةٌ من طريقة جلستها، و مدى الانتفاخ بها.

هناك أيضًا مجموعة منسجمة مع بعضهم البعض، فهم محالين إلى التقاعد جميعهم، و يبدو لك أنهم من مُرتادي المقهى منذ افتتاحه، فأصبح لهم الحق في الصوت العالي و أحيانًا الصراخ عندما يتبارون في لعب الورق" الكوتشينه".

شلّة أخري تتجمّع من أشكالهم و حوارهم تعرف أنهم من الحرفيين ينفقون جيدًا على المشروبات، و ذلك يعطيهم الحق في إطلاق ألفاظ خادشة للحياء و مقززة عند السماع، يطلقون ألفاظهم البذيئة تلك ببساطة دون مراعاة لأي شيء، و كأنها تحايا المساء و السهرة.

اعتاد ناجي أن ينزوي بعيدًا عن كل التجمعات، فهناك مكانٌ فسيحٌ أمام المقهي، يسمح له باختيار موقعه، هذه المرّة ألقى عليه التحية رجلٌ في مثل عمره، نزل من سيارته الخاصة الحمراء ربما لاتفاق اللون مع ذوقه الغريب، بعدها جلس قريبًا منه مع شلّة المعاشات يحكي لهم بصوتٍ عالٍ و لهجةٍ لذيذةٍ مع

تجديفٍ بالذراعين والإشارة بكل أجزاء جسده و يقول بينما ناجي يسترق السمع :

- إنتو عارفين إن فيه حيوان اسمه الضب، آه و الله كده الضب ، حيوان ضخم زي التمساح كده، بس هو أكبر بكتير، ده بقى لو جاع و مافيش أكل يتلمّوا كام واحد منهم ينقّوا واحد سمين من نوعهم و يأكلوه ، يعني يعملوا عليه حفلة عشا بالهنا و الشفا .

اندهش الجميع بثقافة الرجل المطلع على عالم الحيوان عدا رجل سبعيني أراد استفزازه بهدوءٍ فسأله :

- اللي بتقوله ده يا " جعفر " كلّه خرط و نخع علينا، طول عمري أقرا مجلات و جرانين ماسمعتش عن الهب اللي بتقول عليه ده .

بثقة المتمكن من علمه الغزير يرد جعفر :

- شوف بقي يا " حاج سلاموني "، أولاً اسمه ضب مش هب، هب دي تلاقيها في سيرك محاسن الحلو، و بعدين اللي يأكدلك كلامي، ادخل ع اليوتيوب، أنا حاسس إنك قارش ملحتي من ساعة ما قعدت، سيدنا علي بن أبي طالب قالك إيه بقى " إدي الراجل لما يتكلم فرصته و ما تقطّعش في فروته "

انتفض الحاج سلاموني منفعلا :

- هانخرف أهو، سيدنا علي مين اللي قال الكلام ده ؟

رد جعفر بنفس الثقة :

- يا عّم مش مصدقني ادخل ع اليوتيوب و بعدين تعالى كلمني ، كله موجود بالحرف، اليوتيوب ما سبش حاجة إلا أما قالها.

فجاء رد سلاموني مستفزًّا لجعفر :

- هو كل حاجة تتزنق فيها تقول ندخل ع اليوتيوب؟ قول لنا بس هو مكانه فين عشان ندخله؟

جعفر بسخرية :

هو مين ده اللي عايز تعرف عنوان عشان تروح له؟

- اليوتيوب

ضحك جميع الحاضرين سواء من فهم منهم، أو من ضحك بالتبعية، يتخلل ضحكاتهم سعال مختلف الأصوات جراء شرب المعسل.

يقطع حوارهم " أحمد " صبي المقهى ثقيل الدم علئ قلب الجميع :

- تشربوا إيه يا جماعة، بقالكم ساعتين ماحدش طلب حاجه.

حان موعد صلاة العشاء بصوت ذلك المؤذن الأجش المنقر عند السماع ، و البديل عنه فهو حسب العُرف المتبع من قدامى المصلين، و له محل بالشارع، وعلاقاته واسعة بين ساكنيه، هذا منحه الحق أن يسرع نحو ميكرفون المسجد قبل الموعد بخمسة دقائق ، فيظل واقفًا بجانب الميكرفون؛ ثم يؤذن فور أن يحين وقت الصلاة، لا يستطع أحد أن يصارحه بنوعية صوته الشبيه بالكراكة حين الحفر، داخل المسجد تجد أن أهل الشارع لهم منطقة للصلاة متجاورين قيامًا أو جلوسًا، و لكل فرد منهم مكانه المخصص دون أي تعدٍ من غيره.

جهل ناجي بالأعراف المتبعة في جنبات الشارع سواء داخل البيوت، أو خارجها من خدمات مختلفة جعلته يدوس

فوقها بلا معرفة، وقف وسط المصلين بالمنطقة المخصصة لأهل الشارع الكرام، نظر إليه الجميع و كأنه ذبابةٌ سوداء دخلت غرفة بها أطباق حلويات شهية، تجرأ أحدهم و قال له متأففا :

- المكان ده بتاع " الحاج نعيم "، أهو جاي شايفه ؟

هذا المكان و ما فيه من خشوع جعل ناجي ينظر إليه غاضبًا و كف عن الحوار ثم تحرك للخلف ليجد كمال الدمياطي يغطُّ في نومه و لا يدري أكانت هناك صلاة تقام أم لا، تعجّب ناجي و دارت في رأسه تساؤلات عديدة، صوت المؤذن أسدى إلى ناجي إفاقة التركيز في الصلاة المقامة و تأجيل توافه الأمور إلى ما بعد أداء فرض الله بخشوع و خضوع.

بعدما فرغت الصلاة استدار ناجي سريعًا نحو مكان كمال الدمياطي، وجده ما زال قابعًا فيه و النوم قد سيطر عليه تمامًا ، حدّث نفسه بحسرة :

- هو الراجل دا بييجي المسجد ينام و لا بيصلّيش؟... طب ليه و إيه الحكمة من كده، حتي إنه ما بيداريش نفسه ، ينام على الملأ أثناء الصلاة، طب ما ينام في بيته !!! تحس إنه نايم بمتعة، الله يخرب بيتك يا بعيد، لا حرام أدعي علي حد في الجامع، إيه البني آدم ده ؟ مايكونش لاسع و عقله مفوّت؟ يللا بقى أنا مالي، لما امشي م الجامع قبل ما يصحى و يشوفني و أنا ببص عليه، و الاّ أقولك يا أبو النوج، اقعد سبّح.

انتظر قليلاً ثم ذهب، و أخذ حذاءه و خرج، ثم قام بارتدائه ليجد أمامه كمال الدمياطي جالسًا على الرصيف يسأله :

- إيه الأخبار ؟

انزعج ناجي لما رآه فجأة فأجابه بتعجب :

- أخبار إيه ؟ فيه إيه مالك ؟ أنت كويّس ؟

وجد بجوار كتفه " عبده " حارس العمارة التي تقع أمام المسجد يقول له :

- سيبك منه يا أستاذ، ده بييجي الجامع عشان ينام في التكييف و يوفر الكهربا في بيته، و حياتك و لا بيركعها، ييجي يدخل الحمام و يغسل بالصابون اللي جوه بتاع الحمام و بعدين ينام في العسل لغاية ما الصلاة تخلص.

يرد كمال الدمياطي ببرود :

- و إنت مالك يا ابني؟ إنت بواب في العمارة و بس، حاجة غريبة و الله.

أراد ناجي أن يوقف المشادة الكلامية بينهما فسأل كمال :

- إيه الأخبار ؟

- النهارده روحت البنك لقيتهم بيقولوا لي نعمل لك فيزا تسحب بيها من المكنة، زعقت فيهم و قلت لا مش عايز لان عندي معلومة إنهم بيخصموا عمولة جامدة حوالي تلاتين جنية في كل مرّة؛ حتى لو سحبت مية و خمسين جنية.

عبده البواب : بقي يا راجل بتبص في تلاتين جنية و مقهور عليهم و معاك الملايين دي كلاتها؟!

- خليك في حالك يا عبده ربنا يكفينا شرعينيكم، الشارع كله مافيش وراه غير كمال معاه كام، كمال عنده كام عمارة لغاية ما جابوا كمال ورا، إنت عارف ؟

- موجها حديثه لـ ناجي - :

- الحديد وصل كام و الأسمنت النهارده ؟

كان ناجي في حالة من الشرود لكنه أجاب :

- كل حاجة فعلاً غليت اليومين دول.
- معاك مليون و نص، و أجيبلك شقه ٢٠٠ متر ناصية ملعب و حياتك.

رد ناجي كمن لدغته نحلة في قفاه :

- طيب أروح أسأل أمّي الله يرحمها و أرجعلك، خليك هنا و إوعى تروح فى أي حته، سلامو عليكم.

عاد ناجي و قد أصابته صدمات ما سمع من وعن كمال الدمياطي، وجد فيه نموذجًا غريبًا يستحق الدراسة و بعدها العلاج المكثف لما فيه طبائع قلما تتواجد في إنسان، كيف له أن يدخل المسجد و لا يتوضأ و لا يصلي، بل ينام في ثبات أثناء إقامة الصلاة حتى يوفر ثمن الكهرباء سواء استهلاك التكييف أو حتى مروحة و ينام مددّا علي سريره بدل نومته جالسًا فوق مقعدٍ خشبي غير مريح، هل هناك بخل لهذا الحد، و الله أنه العجب.

بينما هو سائر كانت تقف الآنسه " آمال العيوطي " في شرفة منزل أبيها بالدور الأول؛ ترقب خطواته المتزنة و تأخذها نسمات الحلم الجميل، و دروب الاستقرار العاطفي و تفكر كيف لها أن تخطط بطريقةٍ خفيّةٍ؛ تلفت بها نظره بعيدًا عن عيون الرقابة الساهرة و الموزّعة على أغلب مناطق الشارع المتلصص.

أم سماح لم تنته من ورديتها الرقابية التي تنتهي بنوم أهل الشارع كلهم، فقد لمحت ناجي متجهًا نحو بوابة العمارة

التي يقطن بها، نادت عليه بصوتٍ متدرج في الارتفاع حتى سمعها، فأقبل إليها يسألها في حرص :

- خير يا حاجة ؟ يلزمك حاجة أقوم بيها ؟

- لا يا ابني الله يحنن عليك، آني كنت بس عايزه نسألك في حاجة.

- اتفضلي يا حاجة اسألي.

- هي المدام بتاعتك في بلد تانية، و مش عايشة هنا معاك؟

رد ناجي كاظمًا غيظه و مدعيًا الهدوء :

- بتسألي ليه يا ست ؟! هو الموضوع ده يفيدك في حاجة ؟

بُهتت أم سماح و أصاب صوتها الضعف و هي تقول :

- هيفيدني في إيه يا ابني، آني غلطانة اللي بنحبوا نطمنوا على جيراني، روح ربنا يصلح حالك.

- و حالك يا حاجة، عايزة حاجة تاني ؟

- هانعوزوا إيه بعد اللي سمعته.

صعد ناجي سلّم العمارة حتي وصل إلى باب شقته، لكنه لم يستطع فتح الباب، حاول مرّاتٍ و فشل، فنزل الشارع باحثًا عن فني للمعاونة في فتح الباب، فلما لم يجد أحدًا عاد؛ و أعاد المحاولة بعصبيةٍ و ضغط على الباب ثم الطرق باليدين؛ حتى تم الفتح، فدخل و تنفس الصعداء و حمد الله تعالى على توفيقه له، أحضر المفك و فك كالون الباب؛ فوجد بداخله بعض الغراء المتجمد مخلوطًا بشمع منصهر، ناهيك عن تجريح داخلي يدل علي استخدام آلةٍ حادةٍ كسكين أو مفك، وقف في ذهولٍ متيقنًا أن ما تم، فعله فاعل، تحيرت أفكاره، بينما هاتفه المحمول يدق

دون توقف، التقط الهاتف ليجد أن المتصل هو مالك العمارة و مؤجر الشقة التي يقطنها :

- ألو، أيوه علاء باشا.. إزيك ؟

- أشكرك أنا بخير و الله.. معلش أنا مشغول عنك الأيام دي، مشاكل كلها على دماغي، إنت عارف؛ أنا قابلت مدير عام مصلحة الضرايب النهارده، و أثبت له إن عنده موظفين كتير مختلسين للمال العام، و قام بنفسه يتحقق من كلامي بالمستندات اللي معايا، أنا بحتفظ بكل مستند من عشر سنين و أكتر، لدرجة إن المأمورية كلها وقفت على رجل لما شافوا المستندات بالختم و توقيعاتهم، قعدت مديرة الإدارة، مديرة حلوة لطيفة قوي، بصت لها بإعجاب لما عرفت إن اسمها " فدوى " و قولت لها برقة : إنتي عارفة إن كنت في شبابي بحب بنت جميلة زيك و اسمها " فدوى " برضه، لقيتها ضحكت و بصتلي؛ الستات كده يا ناجي لما تدخل معاها في الإعجاب بيها تروح معاك و تعملك الشغل اللي إنت عايزه و العبد لله خبير في ملاغية الحريم و.....

يقاطعه ناجي بعد زفرة تكاد أن تحرق مدينة و يقول :

- طيب يا باشا ورايا حاجة مهمة أعملها و أرجعلك.

- مش هاعطلك، المهم دخلت لوكيل الوزارة ، الراجل وقف من مكتبه و استقبلني على باب المكتب، و يقولي هو إنت يا أستاذ علاء من عيلة الدياسطي؟ لعلمك أنا أعرف الله يرحمه الدياسطي الكبير و....

يقاطعه ناجي بحنق خانق :

- لو سمحت يا علاء باشا معايا تليفون تاني مهم.

- خمس دقايق بس مش هاعطلك عن تليفونك، اتصل بالتليفون طلب " فدوى" اللي قلت لك عليها مسح بيها الأرض و قعَدت تترجاني إن الموضوع مايروحش النيابة الإدارية، قلت لهم.....

كاد ناجي أن يموت غيظًا :

- يا باشا بقولك فيه مكالمة مهمة معايا دلوقتي .

- خلاص لما أقابلك بكرة عشان ورايا مشوار جنبك هافوت عليك نشرب قهوة سوا، و اشرح لك الموضوع بالتفصيل.

- تشرف يا أستاذ، سلامو عليكم.

الفصل الثالث

ليت للأحزان جرس نهاية، كجرس الحصص المدرسية كي ننتظر رنينه بفارغ الصبر، لنعلن تحررنا من زنزانة الأحزان ، فمن يرى معظم الناس في هيئتهم المليحة يظن أن السعادة لا تفارقهم؛ وهم يصنعون لأنفسهم ابتسامات من الصبر و العزيمة، و الحزن يعتصرهم من الداخل ، فالعمر يغادرهم رويدًا رويدًا، و في لحظة المغادرة النهائية بلا عودة تنطلق ألسنة الزمان و المكان و معهم الأهل ساخرة تقول للجسد المسجّى من أحدهم فوق خشبة الحياة " ماذا حققت يا هذا أو يا هذه ؟! " ذهبت كما أتيت.

ناجي ينطبق عليه المثل الشعبي القائل " من برّه هالا هالا .. و من جوّا يعلم الله "، حزنه المكتوم يعود عند رحيل أمه؛ لحظتها أوصت شقيقه الأكبر " شريف " أن يرعاه و لا يدعه لزمنٍ قد يصفعه؛ فهو صاحب طبيعةٍ لا تتحمّل صفعةً واحدةً، و عليه أن يشارك ناجي شقتها المؤلفة من أربع حجراتٍ واسعة بما لها من الموقع المتميز بالمدينة الهادئة.

عمل الأخ الكبير بوصية الأم عامًا، ثم أراد أن يتزوج و بارك ناجي خطوة أبيه الصغير" شريف "، من هنا بدأ نقر الحدأة التي ارتبط بها شقيقه في التخطيط لإزاحة ناجي شريكهم في الشقة بدعاوى عديدة، منها خجلها منه، فالحياء يمنعها من الظهور كامرأة جميلة تبرز مفاتنها لزوجها في وجود ناجي ،

بعد ذلك، الشقة ما عادت تتسع لهم جميعًا بعد إنجابها ولدين و بنت، و غيرها من هذه الحجج و المداخل النسوية.

لم ينتظر ناجي حدوث خلافات مع شقيقه أو خلافات بين شقيقه و زوجته بسببه، قام بمحاولاتٍ مضنيةٍ لإيجاد فرصة عملٍ خارج البلاد يكون فيها الحل المقبول، هو الرحيل عن منزلهم المشترك بسبب يبدو مقنعًا، لم يجد أمامه سوى السفر إلي ليبيا و قبول عمل لا يسمى فرصة، بل فرصة هروب و حسب، قضى في ليبيا أربع سنوات و يزيد معظمها كان أيامًا صعبة و الكآبة فيها أكبر من طاقته و تفيض، عندما عاد وجد نفسه غير مرغوب به، أفضى بذلك لشقيقه بأنه غير مستريح في الإقامة معهم، و لم يذكر سببًا لعل أخيه يفهم.

اقترح الأخ الأكبر " شريف " أن يؤجر له شقة خاصة به ليأخذ الجميع راحتهم، و أتت فكرة استئجار شقة مالكها " علاء الدياسطي " الكائنة في شارع الثرثرة و النميمة و عشق الفضول.

يدخل ناجي يوميًا منزله المؤجر قرابة العاشرة مساءً ليقاسم الوحدة المملة مشاعرها الباردة حتى الصباح، يشق جدار صمت لياليه نباح أنثي كلب، و صوت استغاثة المقبوض عليهم بقسم الشرطة القريب حين أخذ الاعترافات منهم بجرائم، ارتكبوها بالفعل أم لا، ثالث المزعجات له تلك الأصوات الصادرة من بعض الأشخاص بالمنازل المشتركة معه بالمنور الساتر لهم عيوبهم بصمود و رحمة.

راقب ناجي أنثى الكلب في نباحها، وجدها تنادي كل الكلاب المنتشرة بكثافة من الذكور بالمنطقة، فيأتي إليها الذكر منهم و عليها التجاوب معه، أو حدوث معركة شرسة ليرحل عنها و قد سمع الناس و الكلاب فضيحته من نباحها و هو عائد ذليل من حيث أتى مغضوبًا عليه، و إبلاغه علنا أنه ليس المطلوب و أنه مستوى أدنى من أن تمنحه أنوثتها.

أما متابعته لما يحدث داخل قسم الشرطة وجدها تبدأ بصوتٍ عالٍ من المحقق للمتهم، مع نكرٍ غير مسموع، فإذا أصرّ المقبوض عليه أنه برئ تعالت أصوات المحقق و من معه، مقرونة بألفاظٍ يندى لها الجبين من قذاراتها صريحة لا مواربة فيها، إذا استمر الأمر على تحدٍ و إصرارٍ من المتهم البرئ على ما قاله من ذي قبل، وقتها تتبدل الأصوات إلي صوت صفعاتٍ واضحةٍ على وجه الليل الخائف تتبعها تأوهات الوجع ممن هو رهن التحقيق وقت اللكمات كاتمة الصوت.

يسترجع ناجي أحداث صلاة الجمعة الماضية بمسجد الشارع الصغير، تبكير رجال الشرطة العاملين بقسم الشرطة المجاور برتبهم العسكرية المختلفة، لا يكاد يصدق الذي يسمعه مما يصدر منهم بعد منتصف الليل من الصرخات و البذاءات على فترات، يذكر ملامحهم عند إقبالهم على الصلاة و هم يرتدون زيهم الأبيض في هدوءٍ و سكينةٍ و ورع لا يضاهيه إلا ورع أولياء الله الصالحين، فأخذ يسأل نفسه: هل حقًّا هم من يتعاملون مع المواطنين و ربما فيهم الأبرياء، هم أنفسهم الذين يراهم وقت صلاة الجمعة؛ و هم الراكعين الساجدين الحامدين المستغفرين ؟!!

الهروب من شروخ صمت الليل و أنينه يتيسر مع عالم الفيسبوك الذي أهدي للإنسان عالمًا افتراضيًا آخر، ليختار فيه ما يروق له، و هذا ما اعتاد ناجي عمله حتى يكسر ملل الوحدة المستمر بوخزاتة الدائمة، فبدأ يتصفح ما كتبه الأصدقاء و اهتم بفتح صفحات الفتيات علّه يجد سبيلاً للتخفيف عن نفسه المثقلة بالهموم، قام فتح صفحة صديقة حسابها تحت اسم " خفيفة الروح أنا يا اهبل " وجد فيها وجبةً من المنشورات تقول فيها : الشقاوة طاقة مش سن في بطاقة...

ابتسم فِي نفسه و قال : يا بنت الإيه صح الصح

المنشور الذي يليه :

لا تكن عنصريًا .. و اكره الجميع

- فعلا هحاول أكره كل الناس اللي في الشارع؛ كُره بإخلاص و صدق عشان ارتاح.

ثم أكمل محدثًا نفسه : دي بنت حكاية و الله

استمر في قراءة ما كتبت :

حب ما تعمل علشان البديل هتقعد جنب أمك .

رن هاتفه المحمول و ظهر اسم المتصل، شقيقه الوحيد و الأكبر شريف.

- أيوة يا شريف، عليكم السلام إنت لسه صاحي ؟ مش كنت بتقول إنك بتنام بعد العشا لما أقولك جاي أزورك ؟

- ع العموم تشرف أي وقت هاستناك.

- و الله نفسي أشوف العيال وحشوني خصوصًا الواد " اللبط " رامي، ربنا يخليهم لك يا شريف.

ثم أردف و قال بسعادة الفكرة و ما فيها من مودة :

- طب إيه رأيك بدل ما تتعب نفسك و تجيلي، أنا أجيلك و أشوفهم و أسلم على أمهم، و افتكرت إني وعدت رامي بعجلة جديدة أجيبها و أجيلكم.
- خير هيروحوا فين بكرة ؟ آه عند حماتك، يبقى أنا خليني وقت تاني، بس و الله البيت واحشني و ريحة أبويا و أمي فيه.
- عفش إيه اللي بعته ؟ ليه كده حرام عليك.
- لا كانت حالته كويسه جدًا، دا أنا كنت عندك من شهرين بس و شايف حالته، كده يا شريف ريحة بابا و ماما الله يرحمهم تبيعها روبابكيا؟
- أخذ في النحيب المر- و بصوتٍ متهدّج أكمل :
- هي دي وصية ماما ليك عليا ؟ لحقت تنساها يا شريف ؟! سلام الله يخليك دلوقتي.

أخذت ناجي نوبة من البكاء الحار و بدأ يحدث نفسه :

- منك لله يا أخي جايب القسوة دي كلها منين ؟ بابا كان رجل أزهر عارف ربنا، و ماما ست كل اللي كان يعرفها يحبها و وصتك عليا و أمنتك أمانة إنك تكون أب ليا، تسيب مراتك تحفر لغاية ما تستولى ع الشقة، و أنا اسكن بالإيجار، لا و كمان كنت بتساعدني و أنا بدّورعلى شقة أسكن فيها و كأنك بتقولي في ستين داهية، مالكش مكان في الشقة و أنها بتاعتك لوحدك، لا حول و لا قوة إلا بالله، هي الدنيا اللي غلط و لاّ إحنا اللي بقينا ظلمة ؟ يا رب إنت الحق العدل وكلتك حالي و أمري.

أسند رأسه بين كفيه؛ و راح في موجة من بكاء حارق وصل به حد الانهيار، ظل ناجي علي هذا الحال المرير حتى صلاة الفجر، ثم توضأ و نزل مسجد الشارع الصغير.

صلاة الفجر لها مذاق خاص لأصحاب الفجر خاصة، فهناك من جفاهم النوم لمرضٍ أو حالة حزن تملكتهم، أما أصحاب الفجر الأصليين هم الذين يجدون المتعة في أداء الفريضة طواعيةً و امتثالاً لأمر ربهم ليحظوا بالنعيم كما وعدهم مولاهم جل وعلا.

دخل ناجي محمّلاً بهمومه متمنيًا أن تسقط من على كاهله كل الهموم و الأوجاع التي ملأت ذاته، عندما يسجد و يقترب، نظر فلم يجد عند دخوله كما اعتاد " كمال الدمياطي" صاحب العمارة المقابلة لمسكنه، فهم من خلو مقعده في نهاية صف المقاعد المخصصة لكبار السن و المرضى، أنه لا يحضر صلاة الفجر حيث إنها ركعتان فحسب؛ و لن يجد خلالهما وقتًا كافيًا لينام قرير العين، برغم حمولة همومه الغارق فيها حتى رأسه و برغم بساطة التفكير بها؛ مازال يرقب تحركات رواد المسجد القدامى و اعتقادهم أن لهم الحق في كل فعاليات المسجد من أذان و إقامة و إمامة و تنظيم، فقد رأي رجلاً مسنًا تجاوز السبعين عامًا يتوكأ على عصاه الثلاثية للإتزان قد تولى من تلقاء نفسه كأحد سكان الشارع و المسجد و هذا يجعل أن يكون له دورًا مادام حاملاً لهاتين الصفتين، دوره المُختار حسب حالته الصحية أن يكون قائدًا للمرور و تنظيم الحركة بالمسجد، من خلال جلسته يشير لكل المصلين لأماكنهم التي يجب أن يلتزموا بها، و إلا علا صوته حتي يمتثل من لا يسمع صوته الضعيف أو حتى يعترض.

إمامة المصلين وزعت فيها الأدوار بدقة بين إمام المسجد المُعين فهو يأتي للقيام بواجبه في صلاتي الفجر و العشاء، أما

باقي الصلوات فيكون في أماكنٍ أخري و ربما في بيته، تجمعه و المترددين من سكان الشارع المسيطرين على أحوال الشارع و المسجد بالتبعية، علاقات المودة حتى لا يعترض عليه أحد جراء عدم حضوره للمسجد و القيام بواجباته في ثلاثة مواقيت للصلاة من الخمسة المفروضة و الاكتفاء باثنتين منها، و حتى يمعن في إرضائهم ما أن يسمع أن هناك حالة وفاة أو مرضٍ ألمّت ببيتٍ من بيوت الشارع، خاصة مرتادي المسجد منهم؛ إلا و أذاع عقب صلاة العشاء تفاصيل الخبر بل يكررها لمرّات ، ليقدم له صاحب الحالة الشكر مع نظرات الرضا من الجميع ، و الحالات التي تحتاج لإعاناتٍ ماديةٍ، يصرخ مستجديًا المصلين أن يساهموا في مساعدتها، ضاربًا الأمثال التي تتقطع معها القلوب عند سماع ما تعانيه الحالة المعلن عنها، فهو يستخدم قوة حنجرته ما يجعل المصلون يرتعبون إذا تخيلوا أنفسهم في موقفٍ كارثي إذا لم يلبوا نداء الحنجرة، ثم يحاول التباكي و يخفض الصوت مُبشّرًا من يطيع النداء أن كل الخير و النعيم ينتظرانه فور قيامه بالمطلوب منه بتلبية النداء عمليًا، و على المصلين الاختيار، و معظم الحضور من سكان الشارع لا يهتمون برفع و خفض نبرات صوته حتي لو وصلت للصراخ أو النحيب فقد اعتادوا عليها و ضعف الأثر منها على أسماعهم.

قضيت صلاة الفجر ليحين بعدها انبلاج الصباح و شروق شمس الله في صباح يومٍ جديدٍ من أيام شهر يوليو " تموز" لتنذر بالحر الشديد، مازال ناجي بالشارع يتسكّع حول المنزل بلا هدف وبرأسه طاحونة من الأفكار لها قعقعة لا ترحم

، تركيز فكره الدائر مع دوران الطاحونة ينصبُّ على ما فعله به شقيقه الأكبر" شريف " و كيف يتعامل معه في حقه المهضوم ، خاصة أن سويعاتٍ قليلةٍ و يلتقي به في شقته المؤجرة من " علاء الدياسطي " الذي بدوره سوف يمر عليه و يبتليه باللقاء المزعج و حالته النفسية لا تسمح بذلك، بالإضافة إلى قلّة نومه، فعليه أن يشرب كؤوس الصبر و التحمّل عند سماع حكاياته الخانقة، بدا اليوم له غير مريح بالمرّة.

عاد لمنزله ثم تناول إفطاره، و طعم ما يتناوله لا يحدده اللسان إلا طعمًا واحدًا هو الصبار، أخذ يتصفّح موقع الفيسبوك ربما يجد فيه التخفيف، يجول بالصفحة الرئيسية ، يلاحظ أن هناك منشورًا يحظى بسيلٍ منهمرٍ من الإعجاب لفتاة كتبت " ادعولي أنا مريضة و حرارتي مرتفعة وصلت ٣٧,٥ درجة ، مع "إيموشن" يشعر بالمرض، تعاطف كل الأصدقاء معها و تنافسوا على من يلفت نظرها من تعليقات التعاطف و الحزن الشديد، و كأنها شهيدةٌ من شهداء معركة اليرموك و ها هي الآن في وقت الاحتضار، أخذ ناحي يتابع للهروب من حالته .. تعليقات الجميع والتي أثارت انتباهه " ألف سلامه يا ست الكل "، و من أدعي أنه طبيب أخصائي حميات و كتب ينصحها بتناول قرص " نوفالجين " و التزام الراحة التامة، أخذه فضوله لصفحة الطبيب المدعي؛ ففهم من منشوراته أنه حلاق رجالي، و لاحظ أيضا أن هذه المريضة ترد علي الأصدقاء الحزانى لأجلها ب " إيموشن" قلب أحمر أو تختار البعض منهم بكتابة تعليق " ميرسي"، حقًّا إنه التميز و الانتخاب.

بعد إصابته بما يشبه الغثيان و (القرف الدسم) أخذ يقلّب، فوجد منشورًا بعنوان " آخر مستجدات الحرب في سوريا " هذا المنشور لم ينل غير إعجاب صاحبه فقط، واصل جولته الفيسبوكية إلي أن انتهت كل المنشورات الطازجة لهذا اليوم الحزين، لتطمئن نفسه بمنشورٍ أزاح الغم و الهم فيه قول الله تعالى :

" و اصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا "

اكتفي وعزف عن مواصلة تصفّح التفاهات والسخافات الفيسبوكية.

خلف قسم الشرطة مباشرة توجد أربعة منازل قديمة المنشأ و البناء متلاصقة تمامًا دون أية فواصل بينها، سكانها جميعًا تجمعهم عِشرة عشرات السنين و التي فرضت عليهم الذوبان و الامتزاج في بعضهم البعض، إلا أسرة واحدة منهم هي أسرة الشيخ " علي البهتيمي " كما يحب أن يلقّب؛ حيث له لحية بيضاء محفوفة بعناية، و شارب خفيف بدا المشيب فيه جليا، طويل القامة يرتدي نظارة طبيّة شفافة لا تخفي عينيه العسليتين، طويل الوجه، برونزي البشرة، الجسم نموذجي يتناسب وزنًا و طولاً، يرتدي ملابس تناسب عمره فيزداد أناقة، يقترب من الستين في العمر، خاصة إذا ارتدى جلبابه الأبيض الذي قامت بكيه بعناية زوجته الطيبة المطيعة الحاجة " كوثر " التي كانت و مازالت أمًّا بديلة للعديد من الفتيات ، فقد حُرمت الأمومة لعدم إنجابها لذا أفرغت حنانها الوافر كأم فيمن قامت بتربيتهم بعدًا و قربًا عنها.

هذا العمل فعلته برضا، كي تشبع غريزتها الطبيعية التي أودعها الله فيها ، حفظت للشيخ علي البهتيمي الجميل و الفضل عليها أنه ما فكّر في التعدد أو حتى تغيير العتبة ليحصل على كنية له مثل أبو معاذ علي البهتيمي أو أبو حيدرة علي البهتيمي، على الجانب الآخر صنيع الشيخ " علي " لها جعلها امرأة مسيرة لا رأي لها أو بالأحرى نسيت كلمة لا، فالرأي الأول و الأوسط و الأخير للشيخ علي زوجها حفظه الله و رعاه - كما تحب و يحب أن تدعو له -، استغل الشيخ علي تلك الطاعة شأنه شأن الرجال واثقًا أنه لن يتلقى يومًا ما شكوى أو معارضة أو حتى رأيًا فسعادته تزداد في حكمه الشمولي في بيته الهادئ الذي لا تسمع فيه صوتًا إلا إذاعة القرآن الكريم ، و إذا سمح شيخنا لزوجته الحاجة كوثر بالخروج لزيارة أحد أقاربها و هذا نادرًا ما يحدث فإنه يذكّرها فحسب بطريقة لف " الخمار" الذي يحب أن تكون عليه شكلاً.

في لحظة من لحظات بشاشة وجه الشيخ علي النادرة استغلتها الحاجة كوثر بعدما قدّمت له وجبة سمك أبدعت في صنعها و تنوعها، فهي تعلم أنه رجلٌ أكول يؤثر بطنه على أمورٍ أخرى كثيرة، هذا طعام منتصف الليل بعدما عاد منذ خروجه من البيت عصرًا فور تناوله وجبة الغذاء، قالت له زوجته كوثر ذات الوجه الصبوح و الابتسامة التي ملأت وجهها ناصع البياض :

- قال صحيح قولي يا شيخ علي ماتاخدنيش يعني، هو إنت بتنزل العصر ترجع نص الليل يا اخويا، و أنا ببقى قلقانة عليك، و رب الكعبة و إنت عارف غلاوتك عندي، بتبقى مشكلتي بس إن اتاخرت أكتر من كده أتصل بمين و اسأل عليك فين؟، و حياة

سيدنا النبي ماتفهمنيش غلط ، إنت عارفني لا أنا أحب اتطفّس و لا غاوية أعرف أخبار حد زي نسوان الشارع كله، بس كل ما فيها أطمّن على جوزي اللي طلعت بيه من الدنيا.

رمقها الشيخ علي بنظرةٍ حادةٍ، أتبعها بلحظة صمت أرعبتها و أخذ يرتب كلماته قائلاً :

- شوفي يا كوثر أنا عملت معاش مبكّر من سنتين كهروب من الوظيفة و ما فيها من مفاسد و رشاوى، و أنا بطبيعتي جسمي مايعرفش القعدة، عشان كده فيه أخ فاضل طلب مني أساعده في إدارة مخبز إفرنجي بيعمل كل أصناف المخبوزات عشان كده نقفل المخبز و يجيبني لغاية هنا بعربيته بعد نص الليل.

ثم أعاد نظرته بحدةٍ أكثر و قال :

- كده فهمتي ؟

ترد كوثربصوت مهتز :

- آه يا أخويا آه آه، أهو كده طمنتني الله يطمن قلبك بالإيمان ، كده خلاص، بس يا ريت تقولي عنوان المخبز و أنا بنت المدينة و عارفاها شبر شبر.

تلعثم الشيخ علي ثم أجاب بصوتٍ مترددٍ :

- يا ستي ربنا ستار اطمني اطمني هما الجماعة عارفين البيت هنا و لو جرالي حاجة لا سمح الله هيبلغوكي و يجيبوني لغاية هنا.

اندفعت الحاجة كوثر:

- جماعة مين ؟

أظهر لها تأففه بتعبيرات وجهه و ارتفع صوته :

- جماعة الفرن يا حاجة، الجماعة اللي أنا معاهم يا كوثر، افهمي بقى.

ساور الحاجة كوثر بعض القلق :

- احتياط بس يا أخويا مش أكتر تدلني على المكان، و أوعدك مش هاروح هناك و لا أجيلك، و لاّ تكونش خايف تعزمني على بيتزا و لاّ فطيرة بسكر؟ هيئ هيئ.

فاض الكيل بالشيخ حيث ما اعتاد منها من قبل ذلك الإلحاح، بل كان يقدّر طبيعتها المبنية على " السمع و الطاعة " و قال لها في لهجة الآمر :

- من إمتي و إنتي بتسألي أروح فين و آجي منين؟ هاقولك تاني اطمني و معاكي تليفون تتصلي بيا أي وقت، و لما ظروف شغلي تسمح هاكلمك و اطمنك، و كفاية بقى يا كوثر عشان عايز أنام شوية قبل الفجر.

- عندك حق يا شيخ علي في كل اللي قولته، و أنا كمان هقوم ارتاح، تصبح على خير يا أخويا، بالله عليك ماتزعلش مني ، مش عارفه بقيت رغاية ليه كده ؟

- حصل خير، و إنتي من أهل الخير يا كوثر، اللهم اسقنا من نهر الكوثر.

كلاب الشارع و الشوارع المحيطة به توقفت عن النباح و التزاحم و السير في مواكب، سواء كان الموكب إلي وليمة أو للتنافس لفوز الذكور بالإناث في ظلمة الليل بعيدًا عن عيون المتلصصين من البشر، أو حتي لمعاركٍ الهدف منها استعراض القوة أمام الإناث، بعدما يفوز الذكر يمشي بطريقة تختلف عن

سيرته الأولى قبيل المعركة، أما عند الهزيمة يعدو مسرعًا مبتعدًا عن ميدان المعركة، و بين الحين والآخر ينظر خلفه أثناء العدو و ينبح بصوتٍ مختلفٍ مليئ بمرارة الهزيمة و كأنه يشتم و يسب من هزمه، متوعدًا إياه أنه لن يترك حقه، و لن ينسى له فضيحته له أمام الإناث الشامتات فيه، وعلى المنتصر أيضًا أن ينتظره، و يستعد لجولاتٍ قادمة في أرض يتفائل بها حين القتال عليها.

إذا أراد أحد المهزومين أن يتمثّل بالبشر حينما يدب خلافًا بينه و بين آخر من بني جنسه، أو حين يعجز الفرد منهم عن تحقيق هدفٍ أو رغبةٍ فقال بلسان حاله :

- و إيه الكلبة دي عرّة الكلاب اللي تخليك تتخانق معايا عشانها، دي كلبة سنكوحة مقشّفة ماشية مع كل كلاب البلد الجربانة، بكرة تشرب منها الخيانة و نكران الجميل، استنى بس عليها كام ليلة تاخد غرضها منك و ترميك، و حياتك عندي يا واطي مع أول جرو عفي هاتقابله، هاتقولك يلا يا معلم اسرح شوف مصلحتك.

ينبح نباح الحزين المقهور قليل الحيلة ثم يكمل :

- اسأل عليها كده الولية الفحلة " أم سماح " هاتقولك حكايات و روايات عليها، هتقولك إنها معفنة ماحطتش ميّة على جسمها و لا استحمت من يوم ما اتولدت في الشارع اللي ورانا في الخرابة إياها، اللي جنبنا، و هاتقولك من غير ما تسألها عن كلب عيلة أبو ستيت قليل الأصل، و اللي عمله معاها، أهو خد جزاءه و اتسلّم دبيحة لكمال الدمياطي و اتباع برخص التراب، يلا أهو إتلم تنتن على تنتن و الاتنين أنتن و أنتن، بكرة نقعد ع

الحيطة و نسمع الزيطة، دي حتى ماحدش يعرف أبوها مين؟، بقى أنت يا خايب تلبسك العمّة الكلابي و تخليك تخسرني عشانها؟! ، بقى أنا يحصل فيا كده، و تتبعتر كرامتي ؟! اسأل عليا في السوق الكبير كنت زينة كلاب السوق و تتمناني أي كلبة، حتى لو كانت نوع فاخر زي "مالينو " أو " بيتبول " مش البلدي الرمّة اللي الناس بتسميها ضالة، أومال لو كانت برخصة كانت عملت إيه؟!، ويَا خرابي و أنا ماشي ادّلع و همّا واقفين صف مستنيين نظرة رضا، بقى أنا اتبهدل كده ؟.

بعدما تعب و أخذ نفسًا عميقًا طويلاً و نبح نبحةً خافتةً؛ ثم استلقى على ظهره فوق الرصيف المبلل من صرف تكييف ثلاثة حصان بالدور الثالث، تمدد مسترخيًا موجوعًا؛ و الدموع قد انسابت من مقلتيه ساخنة.

الفصل الرابع

لأول مرة في حياة ناجي يكره وقت شروق الشمس، و لا ينتظره متفائلاً كما اعتاد طيلة حياته، كيف له أن يتفائل و الدقائق القليلة القادمة تنبأه بلقائين يحويان الغم و الهم، الأول منهما لقاء الشقيق الذي أدار له ظهره و بات جاحداً له متناسيّا وصية الراحلة أمّه، و حقه الثابت في الشقة التمليك تركة الأم باسطًا يده عليها و أسرته، لقاء الغم و الهم الثاني بمالك شقته المستأجرة الذي إذا بدأ الحديث لا يتوقف و كل أحاديثه لا يبتلعها أو يصدقها أطفال في سن الروضة، تشعر معه أن الدنيا و ما فيها ظلامًا لن ينجلي و حزنًا لن يتوقف و كل الناس متربصين بك، يريدون بك فتكًا فعليك دوما ألا تبعد أصبعك عن زناد رشاشك الأوتوماتيكي ، و إلا قطعوك إلى قطع لحم شرائح نيئة، لا ينقصها إلا قليلاً من الملح و الفلفل ليتناولوا منك وجبة شهية.

بداية القصيدة البلهاء بدأت بيتها الأول، دق جرس الباب فيفتح " ناجي " الباب محبطًا و مرحبًا بالسيد " علاء الدياسطي " بالأكثر دقة الباشا علاء كما يحب أن يناديه القاصي و الداني، ابتسم سيادته ابتسامةً لا معنى لها، و بأدب جم و هدوءٍ يسبق العاصفة قال :

- صباح الخير مستر ناجي، تسمح لي آخد من وقتك ربع ساعة أشرب معاك الشاي و اشحن الموبايل لأني نسيت اشحنه في البيت.

دخل و جلس على أريكة الصالون في مدخل الشقة ثم أكمل ما بدأ من حديث :

- و الحقيقه إمبارح و أنا بشتغل على اللاب توب بتاعي ماركة (ماك) و ده كنت جايبه معايا من البرازيل مع كمية بن محوج هايل، مش زي بتاع عبد المعبود اللي في مصر الزبالة، أصل أنا كنت كل ما أروح بلد في العالم أسأل وأنا باكلمهم باللغة الإسبانية بتاعت دول أمريكا اللاتينية ماعدا البرازيل اللي بتتكلم باللغة البرتغالية.

طلب كوب ماء من ناجي، و تنفس نفسًا عميقًا ثم أردف يكمل حديثه الشيّق وسط صمت و نظرة من ناجي يطلب فيها الرحمة و التخفيف.

- أصل أنا مابحبش المنتج المصري عامة لأن المصريين مابيفهموش في أصول الصناعة و تقنيات الجودة و القياسات العالمية الخاصة بـ " الأيزو "، كل حاجة عندهم في الخارج لازم تحصل على شهادة الأيزو و إلا المصنع يتقفل على طول، في مرة و أنا في الأرجنتين بلد مارادونا لعيب الكورة الأسطورة اشتريت كاميرا " سوني " دي من أحسن الماركات العالمية في الكاميرات لقيتها مفيهاش زووم جريت على قسم الشرطة في " بيونس إيرس "، استدعوا رئيس مجلس إدارة شركة سوني، و قعد يترجاني إني أتنازل عن البلاغ و عرض عليا كاميرا أحدث و إمكانيات أعلى بكتير، و فرق السعر بينها و بين اللي

اشتريتها حوالي ٤٥٠٠ دولار لكن أنا صممت و قلت له مش أنا اللي تغريني بالفلوس و مشيت الإجراءات، و اتصل بيا صديق على تليفوني الخاص يبلغني أنه تم فصل رئيس مجلس الإدارة.

رشف رشفة ماء حتى يبلل حلقه الجاف ثم أردف :

- عارف لو هنا في مصر كانوا حبسوا اللي قدم البلاغ، بلد بايظة فعلاً مافيهاش سيستم بالإضافة .....

يقاطعه ناجي الذي بدا عليه علامات النوم وربما علامات الموت و قال بصوتٍ لاهث:

- أعملك معايا شاي علاء باشا ؟

- شوية شاي خفيف أحمر معلقتين سكر مايكونش مغلي عشان الكوليسترول، مع إن أنا باشرب الشاي الأخضر بيجيلي من سيريلانكا رأسًا لأنهم ملوك الشاي، و ده بقى بيبقى شاي بكر لسه ماتعملش عليه عمليات التصنيع و....

ناجي مشنوقًا من شعر رأسه :

- فهمت هاروح أعمل الشاي و اجيلك.

تعمّد التأخير و تناول مُسكنًا للصداع، فنادى عليه علاء :

- أجي أساعدك ؟

يرد ناجي بصوتٍ كأنه استغاثة تلاها نحيب :

- لأ ... شكرًا أنا جايلك.

- تسلم، عاشت إيديك، معلش تعبتك معايا، أنا ليا في البيت " ماج " خاص بيا اشرب فيه الشاي مع حتة كيك، و اقعد في البلكونة بتاعت الأوضة بتاعتي اللي مجهزها بكافة الأجهزة الإليكترونية اللي جبتها معايا من البلاد اللي لفتها في العالم و كاتب عليها ذكرياتي فيها و....

دق جرس باب الرحمة لناجي، نظر إليه علاء نظرة ريبة و سأله :

- إنت مستني حد ؟

ناجي لم يرد و فتح الباب مرحبًا بشقيقه " شريف " و قام بواجب التعارف بينهما بعد احتضان شريف ناجي و المسح على رأسه، و بحرارة صافح علاء و جلس ليهرب ناجي إلي المطبخ و يقول :

- هاعملك حاجة تشربها يا شريف.

ثم واصل السير دون انتظار الرد منه.

لم ينتظر علاء طويلاً فى ارتداء ثوب الهدوء و الاستماع إلي شريف و سرعان ما استلم الميكروفون و أخذ يتحدث بصوتٍ عالٍ فوق المعتاد حتى يسمع ناجي حديثه و الذي لزم المطبخ هاربًا متلكعًا و متعللاً بعمل مشروب لأخيه شريف.

ظهر ذكاء علاء بعد عدة أسئلة سريعة لشريف عن وظيفته و ميوله و بدأ الحديث و كأنه " تشي جيفارا " ينادي ثوار " كوبا " :

- العالم الحر لابد أن يعتمد على المواطن الفقير اللي هو أساس الدولة، لما البلد يبقي فيها " سيستم " أكيد كل حاجة هاتمشي من غير محسوبية و لا طبيخ، حتى في نظام المرور مثلاً يبقى الواحد منهم سايق عربيته وعايش في الدور عايز يدوس اللي قدّامه مش هامه حياة البني آدميين، من يومين و أنا ماشي في شارع رئيسي وسط البلد و فِي نص الشارع و أنا راجع من مديرية الأمن كنت باقابل صديق دراسة طلب يشوفني عشان أفهمه شوية حاجات في البلد لأنه بيثق فيا ، لقيت واحد سايق

عربيه " هوندا سيفيك " زرقا تعبانة و عمال يزمّر لي طبعاً ما سألتش فيه و لا عبّرته، خد يمين الرصيف و لما جه عندي بيقولي : زمّرت لك يا أستاذ عشان أعدي و أنت و لا سامع قلت له بصوت عالي : انت تستناني لما أعدي، الشارع ده للمشاة ، مش لحضرتك و الشارع واسع، قوم بكل بجاحة يقول لي : اما انت انسان غريب صحيح، أنا اتجننت و قلت له : تصور أنا ممكن آخدك دلوقتي من قفاك ع المرور و أخليهم يسحبوا منك الرخصة و يصادروا العربيه كمان، لقيته نزل من العربيه عايز يمسك فيا، الشارع كله اتلم علينا، فيهم واحد يعرفني قالي : عشان خاطري يا علاء باشا، سيبه باين عليه غلبان و مش قدك، فعلاً لقيته غلبان و لولا صاحبي ده كنت خليته عبرة للي زيه، إيه رأيك في الناس اللي زي دي يا أستاذ شريف ؟

رد شريف و علامات النوم تلف أركانه :

- عندك حق يا أستاذ علاء الذوق بيقل في معاملات الناس و بعضها.

- أنا اتمني ان الحكومة تفتح معاهد تدريب للشعب يتعلم فيها قواعد و آداب المرور و فن الإيتكيت، عندهم في " بيرو " اللى بيقولوا عليها بلد متخلفة، كنت ماشي في سانتياجو جنب ميدان النهضة هناك شوفت بعيني.....

أقبل ناجي ينظر إلي شريف و في عينيه شماتة و كأنه يقول له :

هذا من عملك الأسود معايا، " اشرب شوية من اللي أنا بشربه "، ثم وجه حديثه لشقيقه حتى يفهم علاء :

- هانروح مشوارنا عشان متتأخرش الوقت بيجري و قعدة علاء باشا حلوة و خفيفة و نبقى نتفق معاه بالتلفون نقابله تاني.

فطن علاء و قال :

- أنا آسف إني عطلتكم، نبقي نرتب مع بعض على معاد أشبع منكم لأن قعدتكم حلوة، كان ليا صحاب من أيّام ثانوي واحد فيهم شبه الأستاذ شريف كان خاله المحافظ و قاعد معاه في الفيلا بتاعته، لأن كان بيعتبره ابنه عشان أخته كانت الوحيدة بتاعتهم، كان المحافظ يقول لابن اخته ابقى هات ابن الدياسطي يذاكر معاك هنا، يقصد في الفيلا بتاعته لانه كان مخصص أوضه لابن أخته و كان كل شويه ييجي يقولي واحنا بنذاكر ابقى سلّم لي علي بابا، قول له المحافظ بيسلم عليك.

نظر إلي عينيّ شريف فوجد بهما استغرابًا فأوقف الحديث عن المحافظ ثم قال :

- معلش طولت عليكم .

تحرّك نحو الباب ثم ارتفع صوته ليسمع السكان:

- أصل أنا طبيعتي كدا؛ مابحبش أفرض نفسي علي حد، جدّي الدياسطي الكبير الله يرحمه كان ده طبعه، لدرجة أنه قبل ما يزور أخواته كان بيبعت السواق بتاعه بعربيته الشيفورليه يبلغهم قبل الزيارة بيوم و بعدين لما.....

نظر إليه شريف بلطف و حرج ثم قال :

- سعيد إني شوفتك أستاذ علاء، انت موسوعة في كل حاجة، عشان كده لازم نتقابل قرّيب.

- أشكرك شريف باشا، عايز حاجة يا ناجي ؟

أراد ناجي استفزازه :

- شكرًا أستاذ علاء، بس و حياتك ماتنساش تبلغ الحي ييجوا يرشوا المنور عشان الناموس مبهدلني.

صمت علاء و هو يهم بالنزول كمن لدغته ناموسة في عينه :

- البلد كلها ناموس يا ناجي، المفروض تتصرف، إبقى هات " ايزالو " أو " ريد " مش مكلّف القرص في حدود تلاتة جنيه ، و أخذ في الهرولة قائلاً : سلامو عليكم.

أخذ شريف نفسًا عميقًا ثم شرب نصف زجاجة ماء بارد و دخل المطبخ يصنع لنفسه القهوة، ثم سأل ناجي :

- إنت عامل إيه يا ناجي هنا ؟

كان الرد بهدوء :

- زي ما أنت شايف .

- أنا شايف الراحة على وشك و الحمد لله جسمك معقول عن قبل كده ، واضح الأكل اللي بعمله لك مُغذي و لذيذ ها ها ها، عمومًا أنا واخد أجازة النهارده، و جايلك عشان أطبخ لك كم أكلة و نغسل الغسيل اللي عندك و ننضف البيت، عشان تعيش فيه مرتاح، هانزل أروح السوق اشتري لك المطلوب بس شوف إنت عايز تاكل إيه المرّة دي، و أنا اشغّل الغسالة و لما أرجع أبقى انشره ع الحبل في البلكونة.

اتفقا على المطلوب طبخه لخبرة شريف في الطبخ، و دفع ناجي مبلغًا تقريبيًا تحت الحساب ليشتري الطلبات من السوق ككل مرّة، بدعوى أنه جاء إليه على عجل، و لم يركز في جلب نقود معه.

حان وقت أذان الظهر توجه ناجي بعد الوضوء إلي المسجد الكائن بشارع العجب و الثرثرة، فلما ولج بداخله وجد كمال الدمياطي محتلاً مكانه الدائم و المفضل في نهاية صفوف المقاعد المخصصة لكبار السن و المرضى، نظر إليه ثم أومأ له برأسه، فرد كمال التحية كما حيّاه.

كان كمال جالسًا باسترخاءٍ تامٍ منتفخ الصدر و الوجه على للدرجة معها أن الناظر إلى صدره يجده أقرب شكلاً و حجمًا للنساء منه للرجال، و كما اعتاد أن يجلس دون بذل أي مجهود للعبادة و لا حتي الوضوء فهو يجلس لتكييف نفسه من حرارة الجو المرتفعة مصحوبة برطوبةٍ عاليةٍ خارجيا بالشارع؛ أو بمنزله الذي يضن عليه بتكييف أرجائه، مكتفيًا بمتعة تكييف المسجد أوقات الصلاة و فروضها الخمسة عدا صلاة الفجر، حيث تكون الحرارة قد انخفضت بداخل منزله بشكلٍ طبيعي.

حسب نظام كمال المتبع و الذي أرغم الجميع على قبوله بشكله المشين ببرود أعصابه بعد تقبله الهجوم المستمر و إصراره على العودة لفعلته مع كل صلاة، هذه المرّة دخل رجلٌ قصير القامة يرتدي جلباب أهل الريف الغيورين على ممارسة الشعائر كما تعلموها منذ الصغر، فهو لا يعرف حكاية كمال فوقف يصرخ فيه بعد انتهاء الصلاة، لما وجده نائمًا و قال بلهجته الريفية ظنًا منه أنه نام أثناء الصلاة :

- إنت يا أخينا، قوم جدد وضوءك، و ابدأ صلاتك من الأول، أنا شايفك نايم و صلاتك مش مقبولة، يللا قوم فز الله يصلح حالك .

يرد كمال مستنكرًا بصوته الأجش مصحوبًا بهدوء الخجل :

- مين قالك إن أنا نايم ؟ إنت بس مش واخد بالك .

انتفض الرجل، و علت نبرة صوته التي لا تتوازى مع قصر قامته و قال :

- هو أنت بتستعماني يا أخينا؟ شايفك بعيني رايح في سابع نومه، صلاتك باطلة، ده كلام ما حد يقدر يتصدر فيه، اتقي الله كل واحد فينا بيطلب من ربُنا يقبل صلاته، مش جاي ينام في بيت ربنا، ده حتي ربنا مايرضاش عن كده يا ناس، ده اسمه استهبال.

سادت همهمة في أنحاء المسجد ما بين مؤيدٍ لكلام الرجل و بين معارضٍ ليس لديه مبررٌ إلا أن يتركه في حاله، فقد تعوّد على هذا، و حسابه على الله، أراد ناجي أن يتدخل لفض هذا النزاع مقتنعًا أن المسجد ليس المكان الذي يتنازع المصلون فيه، رد عليه الرجل القروي بحسم :

- إنت يا أخينا برضه عملت زيه تعتبره من المصلين ده دي، يا ناس إنتو في غفلة لما ترضوا عن وضع زي ده.

بُهت ناجي لما سمع قول الحق من رجلٍ بسيطٍ ربما يكون أُميًّا يجهل القراءة و الكتابة ، لكنه يمتلك فطرةً سليمةً لا يملكها كل من ارتضى بفعلة كمال الدمياطي المستمرة دون إنكاره إياها و لو حتى باللسان و هي المرحلة الثانية التي لم يصل إليها هو فأنكرها بقلبه و هذا أضعف الإيمان في هذه الحالة المزرية، لذا انسحب في هدوءٍ ليلحق بشقيقه شريف معاونًا له في أعمال المنزل بعد تجاهله نظرة كمال التي توحي بعشمٍ و رجاءٍ في انقاذه من الرجل سليط اللسان حتى لو يملك كلمة حق ما سمعها من أحدٍ غيره في المسجد من ذي قبل.

ناجي رغم تحفظه على شقيقه في أفعاله و مواقفٍ تعتمل داخله سلبًا و غضاضة، إلا أنه يقدّر له صنيعه في معاونته و تفانيه في قضاء احتياجاته و القيام بأعمالٍ منزليةٍ لا يجيدها إلا النساء، لما حباهن الله من صبرٍعليها و حب تقديمها لمن يحبونهم و هذا أمرٌ غريزي فيهن، فالمرأة في طبيعتها معطاءة بلا حدود و يستمر عطائها بل يزيد إذا كان المقابل نظرة شكر، و إذا ارتقت النظرة لكلمةٍ تعبّر، كان العطاء أقوى و أشد، يبلغ العطاء ذروته حين ترى الحنان الصادق وقت تلقي ما تقدمه من عطاء.

لكن هنا يختلف الهدف و النيّة من خدمات شريف لأخيه الأصغر ناجي، الذي يدرك أن ما يفعله شريف القصد منه أن يبقى مستريحًا بعيدًا عنه، و بالتالي عن مشاركته منزل العائلة التي تركته أمهما، و الذي تساوي قيمته المادية مبلغًا يقدّر بعدة ملايين من الجنيهات، فقد ظنت أمهما الراحلة أنه سوف يتسع لعائلتي ولديها و ليس لعائلة واحدة، أنانية التصرف من ولدها الأكبر جعلته يقبل خدمة أخيه بديلاً عن سبب بشتفكير يضطره إلى الزواج من امرأة تشاركه العيش و تخدمه بلا مقابل سوى الحب الصادق ليس إلا.

كان شريف دائم الهروب من حوار ناجي، فربما يفتحه بشأن الشقة المستولي عليها بوضع اليد الجائر، حواره معه يقتصر في السؤال عن عمله و صحته، أو مدى رضاه عن جودة الطعام الذي يصنعه له و نظافة ملابسه بعد غسيلها وترتيبها في الدولاب، أثناء نشر شريف ملابس ناجي على المنشر في بلكونة

الشقة، كل شبابيك المنازل المقابلة تفتح لتراقب عمل رجلٍ اقتحم دور النساء و تفوّق فيه، و الذي يؤكد أن من يقطن تلك الشقة ما زال أعزب، يعاني الوحدة و أوجاعها، في كل مرّة يتأكدون من ذلك، إلا أنهم لم يتوقفوا عن المراقبة و المتابعة بنفس الحماس و الطريقة عندما يخرج شريف أو ناجي لوضع الغسيل المبتل على الحبال.

هيئة شريف تدل على وقاره، فلحيته الكثيفة التي أطلقها دون تهذيب مما جعلها تتدلى لتصل إلي بطنه دون توقف، و الحقيقة أنه أطلقها لإصابته بحساسية الجلد في الوجه، و ليس تطبيقًا للسُنّة النبوية الشريفة التي يتعامل الناس معه على ضوئها، فرضت عليه هذه اللحية بعض الالتزامات منها غض البصر، من هنا استغل النسوة في الشرفات و النوافذ المتابعات له أثناء نشر الملابس ذلك في أن يأخذن راحتهن في التدقيق فيما يفعل، إضافة إلى أنه رجل خمسيني العمر.

واحدة منهن هي الجادة في المتابعة الآنسة آمال العيوطي التي تمنت في نفسها أن تكون مكانه، لتقوم بخدمة ناجي المراقب منها على مدار الساعة، و خطواته الدائمة نحو المسجد جعلتها مبدئيًا تحكم عليه أنه رجلٌ طيب المعشر طالما يلبي نداء الصلوات الخمس في المسجد دون كسلٍ أو تراخٍ، بدا أنها حدثت نفسها بأمرٍ، فصبرٌ جميل.

حديث الأسى المكتوم داخل صدر ناجي نحو أخيه يفور على لسانه بعد انتهاء شريف من أعمال المنزل، فسأله بعد جرعةٍ من الشجاعة و في أدبٍ جمٍ :

- أنا زعلان قوي منك يا شريف، عشان بعت عفش ماما و تمسح ذكرياتها من البيت اللي اتربينا فيه عمرنا كله، و كل حته فيه، ليها معانا ذكرى.

شريف يزدرد ريقه الذي جف فجأة، و هو المصاب بمرض السكري ليجيب في هدوءٍ مصحوبٍ بالخجل :

- يا ناجي إنت عارف العيال بتكبر، و كل واحد فيهم عايز مكتب لوحده و سرير لوحده و ألعاب كتيرعشان ماينزلوش يلعبوا في الشارع و أخلاقهم تبوظ.

شريف مازال متجهمًا :

- ده معناه إنك تبيع عفش فخم زي ده لبتاع الروبابكيا ؟

- ما هوعملنا ديكورات مودرن في الشقة ماينفعش معاها العفش الكلاسيك بتاع ماما اللي يناسب الخمسينات، و بعدين عيالك لسه أكبرهم هايدخل أولى ابتدائي.

أصابت ناجي صدمة و ارتفع صوته رغمًا عنه :

- يعني كمان غيّرت شكل البيت و عملت ديكور؟ ما كان جميل شبه القصور، كل ده يتهد ؟

- لازم يتهد عشان المهندس عمل تصميمات جديدة ، كان لازم يحصل تغيير للقديم، عشان تبقى روح و طراز الديكور واحدة .

- و طبعًا أوضتي فوّرتها و ضيعت ملامحها، على كده ده حصل إمتى؟

- الشهر اللي فات .

صاعقةٌ أخرى أصابت ناجي و ازداد صوته ارتفاعًا :

- الشهر اللي فات؟ و ماتقوليش و لا حتى بالتليفون !! أمرك عجيب يا أخي، لما تعتبرني ميّت أو مهاجر و مش موجود في

البلد و قريب منك، قولي بقى إنت ناوي تبعدني خالص عن شقة ماما و اعتبرتها شقتك إنت و أولادك؟.

ثم قام ممسكًا بقميص شريف مع صرخاتٍ هيستيرية و التهبت عيناه و هو يهز بشدة صدر أخيه :

- يا أخي ليه تخليني أتعامل معاك على إنك نصاب و بجح ، ليه تخليني أنسى إنك أخويا الكبير؟، قدامك حل من اتنين الشقة تتسعّر و إنت عارف تمنها كام، أو من بكرة تلاقيني جواها و قاعد فوق دماغك إنت و الهانم مراتك.

يخلص شريف نفسه و ملابسه من قبضة ناجي، ثم يقف محتدًا و يقول :

- شوف إنت يا تافه يا اللي مراعتش إني أخوك الكبير و بتسوق الصياعة عليا، افتكر عملتك دي كويس، و أنا واضح إن لازم أعلمك الأدب من جديد.

كان ناجي في حالة هياج شديدٍ فقال :

- الأدب والأخلاق إنت نسيتهم، و يللا قوم من وشي بدل ما انسى إنك كنت أخويا و اتربينا سوا.

خرج شريف تاركًا منزل أخيه المؤجر مسرعًا و قال :

- فعلاً دي آخرة تربيّتي فيك تمسك فيا و عايز، و لا راعيت أي حاجة عشناها مع بعض، شكرًا يا ناجي.

ثم أكمل بتهكم :

- يا أخويا الصغير.

هوى ناجي على أقرب مقعدٍ و أخذ يبكي بحرقةٍ لم تصدر منه في حياته من قبل.

بالطبع كان حديث الصراخ الذي دار بين الشقيقين قد سمعه كل جيران الشارع المتابعين للأحداث أولاً بأول، و كانت هذه المشادة الكارثية بين الأخوين هي الحدث الأبرز الواجب تناقله بين الألسنة مع التحليل و إبداء الرأي و تجديد رأيهم في جارهم الجديد القادم للشارع حديثًا.

كل من سمع تناول ما وصل لأذنيه على هواه و ثقافته، أم سماح هي الأكثر إنصاتًا ومعها فاروق النجار والملقب ب فاروق العبيط الذين سرعان ما قاما بالواجب نحو هذه القضية.

أم سماح ترسم وجه الحزن على الملامح و الصوت أيضًا :

- شوفت يا فاروق الزمن غدار إزاي؟، الأخ فيه ما بيرحمش أخوه و عايز ياكل لحمه و يرمي عضمه في الشارع للكلاب، يا لهوي على الدنيا يا ولاد، ساعات الواحد يحمد ربنا إنه جربان و ماحلتوش "جني" بدل ما كنت نقطعوا بعض آني و اخواتي ، لا و سمعت الجدع اللي اسمه ناجي و هو عصبي تحس إنه كان هياكل أخوه الكبير أبو دقن، باين عليه شرّاني، إوعى يا فاروق تحتك بيه يا أخويا أحسن يمرمطك.

يرد فاروق منفعلاً :

- ما تلمي لسانك يا وليه، هو أنا هفيّه ؟! ده حتى صعبان عليا ، الناس بقت زي الديابة لما إء إء إء...

تتهكم أم سماح في حسرة :

- هي جات لك حالة الأو أوه تاني، اشرب ميّه الإزازه جنبك.

برغم بعد شرفة منزل آمال إلا أنها كانت ترمي برأسها فالسمع عندها عالي الجودة و أفضل منه عن الشارع، تقريبًا

كانت سمعت الحديث كاملاً؛ و قامت بالتحليل السريع في سعادةٍ لا تعرف سببًا لها و دخلت لأمها:

- شوفتي يا ماما زي ما قولتلك، ناجي طلع ابن ناس و أخوه واكل حقه، و واخد نصيبه من شقتهم و سايبه يأجر شقه هنا، سمعت كلامهم و اتقطعت عليه.

نظرت إليها الأم باستغراب :

- اتقطّعتي إيه و اتشرّحتي إيه؟ يا بت مش على بعضك ليه ؟ البيوت مليانه مشاكل، يللا خوشي المطبخ، اعملي الأكل وانتي كده لا شغله و لا مشغله.

- مش إنتي و بابا الله يرحمه اللي رفضتم إني اشتغل في محل الستاير بعد ما اخدت الدبلوم، كان زماني صاحبة المحل بعد ما اتجوز صاحبه ها ها.

انفجرت الأم ضاحكةً و قالت :

- ينيلك يا آمال دمّك شربات يا بت، يللا بقى بلاش كلام فارغ، بس أقولك ربك و الحق، ربنا يجعله من قسمتك و نصيبك، شكله مقطوع من شجرة.

ردت آمال باندفاع الحالمة :

- أنا اللي هاكون شجرته و ضلته و اجيب له خلفته.

حاولت الأم أن تبدو منفعلة شكليًّا :

- طب يللا يا مهبولة ع المطبخ .

- حاضريا ماما بس إنتي ادعيلي في صلاتك، مرّة واحدة بضمير.

- بضمير؟ مش قولتلك اتهبلتي رسمي، هو أنا بادعي لحد غيرك يا حبيبتي، يللا بقي غوري من وشي بدل ما اعيط.

بدت الشماتة في نفس " كمال الدمياطي " المتابع بدقة ما حدث فلديه صوان الأذنين فكل منهما شبيهة بالحلة " التيفال " مقاس ٢٤، سبب الشماتة أن ناجي تخلى عنه وقت أزمته مع الرجل الريفي الذي وبّخه بشدة وقت صلاة الظهر رافضًا أن يكون المسجد المكيف استراحةً للنوم، و ما هي إلا " تعسيلة " منه وقت الصلاة ثم وقت استغفار و تسابيح المصلون و التي لا تتجاوز نصف الساعة و بعدها يغلق عبده البواب " الغتيت " باب المسجد حتى قبيل الصلاة التي تليها بدقائق معدودات، أخذ يصنع مع نفسه الحديث الذي سوف يلقيه على رئيفة عند حضورها من بلدتها، حتى يلهيها عن حديثها الممل بشأن زواجها منه بعدما يقتنص الطعام الدوري الذي تحضره له كل مرّة ملفوفًا طازجًا.

الفصل الخامس

لفت انتباه الحاجة كوثر تأخر زوجها الشيخ " علي البهتيمي " في عودته للمنزل عن موعده الذي كان شبه ثابت منتصف الليل، أثار هذا قلقها خاصة أن أموره العملية غير كاشفًا لها منذ سنوات، هي تجهل كل تحركاته بعد تقديمه للمعاش المبكرعلى مدار خمس سنوات، هذا قد دعاها للتواصل هاتفيًا مع شقيقتها الصغرى " وفاء " الموظفة بمديرية الإسكان بالمدينة و المتزوجة من عميد شرطة المباحث العامة بمديرية الأمن بالمحافظة، بعد الترحيب بها في غياب الزوج الشيخ علي قالت في نبرة حزنْ و حيرة :

- مابقتش عارفه عنه حاجه خالص، حتي كان ميعاد الغدا عنده مقدس قبل العصرأهو النهارده نزل بحجة صلاة الضهر في الجامع و مارجعش، و متهيألي مش هايرجع قبل الفجر زي ما بيعمل الأيام اللي فاتت دي كلها.

في محاولة من وفاء لطمأنة شقيقتها كوثر و بهدوء :

- يا كوثريا حبيبتي ماتقلقيش نفسك بالشكل ده، مش إنتي قولتيلي إنه بيشتغل في فرن إفرنجي، يمكن يكون الشغل زاد و الحالة اتحسنت و إحنا في الصيف عشان كده بيسهروا للفجر ، إنتي نسيتي إنه قالك إن صاحب المخبز ده صاحبة و بيعتمد عليه ؟، بلاش الوسوسة بتاعتك اللي تعباكي من صغرك.

- وسوسة إيه بس يا وفاء ده حتى مارضاش يقول لي المخبز ده فين، و لما قلت له ماتخفش مش هاجيلك ده مجرد احتياط وقت الضرورة، لقيت وشه راح ألوان و اتعصّب عليا و برضه ماقالش حاجة.

- يمكن مكسوف تشوفيه و هو بيشتغل، فيه رجاله كده بتعتبر شغل المحلات عيب و قلة قيمة، بالله عليكي بلاش الشيطان يلعب في دماغك يا " كوكو "، أنا حاسه كده إنك قلقانه يكون ليه بيت تاني و ست تانية بيقضي الوقت عندها و يدلع نفسه .

ردت كوثر في استنكار لما تقوله شقيقتها وفاء:

- اللي ما عملها و هو شاب، لما ييجي يشطب في العمر يعملها ؟ ما اعتقدش يا " فوفا "، علي عاقل و موزون و أنا بثق فيه أكتر من نفسي، ما شاء الله عليه أدب و أخلاق و عارف ربنا و ما يسبش فرض، و طوب الأرض بيحب مشيته عليه.

تضحك وفاء و تقول:

- على مهلك مش قوي كده، شوية و تقولي عليه النبي " دانيال "، الخوف كله من اللي زي ده، يبقى سهون و فى حاله و يعمل المصيبة اللي مافيش عفريت يعملها ها ها ها، إوعي تزعلي مني يا كوكو أنا بهزر معاكي يا روح قلبي.

كانت كوثر شاردة الذهن و قد ازداد قلقها:

- إنتي بتتكلمي يا فوفا عشان تشوفي لي حل و الاّ تتريقي عليا و على جوزي؟

- يا كوكو بخفف عنك، شايفاكي مخنوقه يا حبيبتي، أقولك اللي عندي و فكري فيه، أنا هاقول ل " أشرف " جوزي الحكاية و

هو يتصرف بطريقته من غير ما جوزك يحس، طبعًا إنتي عارفاه، ظابط مباحث شاطر يعني هايجيبلنا قراره، إيه رأيك ؟
ردت كوثر مندفعة في انفعالٍ شديد:
- إوعي تعمليها يا وفاء كده تخربي بيتي، أنا عارفة علي كويس لو شم خبر زي ده إن فيه حد بيراقبه، و بصراحة من غير زعل علي ما بيطقش أشرف جوزك و لا بيحب سيرته.
- يا حبيبتي كل ده مش مهم، المهم عندي إنتي ترتاحي و من غير ما علي يحس و أتمنى الموضوع يطلع تأخيره في الشغل ، عمومًا أنا مش هاقوله إلا ما تتصلي بيا و تأكدي عليا، أستأذنك يا كوكو زمان أشرف على وصول البيت دلوقتي بعد النوبتجية بتاعته، سلام يا حبيبتي و ماتخافيش أنا معاكي ده إنتي أمي الصغيرة، مش اختي و بس، سلامو عليكم يا روح فوفا.

لم يستطع ناجي النوم و لا الراحة ولا حتى تناول الطعام بعد الموقف المخزي الذي حدث بينه و بين شقيقه الأكبر شريف الذي يصر على أن ما فعله هو الصواب، و مع ذلك أخذ يؤنب نفسه كونه احتد على شقيقه، فمهما ارتكب من أخطاء في حقه، كان من الواجب عليه معاملته بطريقةٍ أكثرهدوءٍ وتحضّر، فتربيته تفرض عليه ألا يكون على الصورة التي ظهر بها، لذا قرر بينه و بين نفسه محاولة تصحيح ما حدث بأية وسيلة ٍ يقبلها شقيقه، بل و يزيد من طرق الاعتذار حتى يرضى أخيه شريف عنه.
سمع ناجي الصوت المنفر من المؤذن الذي لا يعرف أصول الأذان و بأي مقامٍ من المقامات الموسيقية يؤذن ؟ و هل

صوته يصلح أن يسمعه خلق الله من المصلين، و غيرهم أم لا، اللهم أنه فرض نفسه للقيام بهذه المهمة الروحانية الجليلة بحكم أقدميته بالشارع و بسط سيطرته من هذا المنطلق فحسب، برغم أنه في لسانه لثغة عند نطق حرف الراء واضحة للسامعين.

دخل ناجي وكما اعتاد صوب نظره نحو موقع كمال الدمياطي بشكلٍ عفوي، فوجده جالسًا نصف نائم كما الثعلب حينما ينهي أفعاله المسيئة من التهام الطيور في الحقول خشية مهاجمته من أصحابها، ليس في العادة أن كمال دائم الحضور للنوم في صلاة العشاء إلا إذا اشتدت حرارة الجو في منزله ليستمتع ببرودة التكييف خلال الصلاة و بعدها بقليل، تبادلا النظرات، فطلب كمال من ناجي بالإشارة انتظاره بعد انتهاء الصلاة.

قُضيت الصلاة و همَ ناجي بالخروج من المسجد ليجد كمال قد افترش حوض الزرع المقام خارج المسجد مناديًا عليه بصوته الذي يشبه صوت تروس ماكينةٍ أصابها التآكل و حان أوان تكهينها ، استقبله مبتسمًا ابتسامةً لا معنى لها كعادته و التي تبدو لمن يراها أنه ما عرف شكل الإبتسامة الحقيقية من قبل، أو ربما يبخل بها كبخله في كل أركان حياته، أشار إليه أن يجلس بجواره فبدا أنه يريده في أمرٍ غاية في الأهمية و استهل الحديث:

- شوفت الراجل الفلاح بتاع إمبارح قليل الذوق، كان عايز يمسك فيا و يقول عليا نايم، هو فيه حد يعرف ينام من صوت الشيخ في الميكرفون؟!، و الغريب أنا مش عايز أرد عليه عشان

إحنا في بيت ربنا، بعد ما أنت مشيت و سبتني طلع بره و كمّل قلة ذوقه، إنما ولاد الحلال اتدخلوا و مشّوه من قدامي.

ليس لدى ناجي إجابةٌ صريحة حتى لا يؤذي مشاعره فاكتفى بقول:

- حصل خير.

أراد كمال أن يجعل ناجي أكثر اهتمامًا بحواره فقال دون مناسبة:

- إنت مش واخد بالك إن الكلاب اختفت من الشارع و المنطقة ؟، ده بقى لعبة أخوك كمال من غير ما حد يعرف.

شرد ذهن ناجي مع تلك الألغاز و قال:

- صحيح كانت الكلاب بتمشي جماعات في المنطقة لدرجة مرّة عديت جماعة منهم لقيتهم عشرة و كلب صغير، إنما من إمبارح مش شايف و لا واحد منهم.

رد كمال بفخر:

- هو ده اللي أقصده ، سلمتهم كلهم إلا كلبة لقيتها عرجة صعبت عليا سبتها، الواحد منهم أخدته من العيال اللي اصطادوها بخمسين جنيه، و أنا بقى أسلمه للمكتب بسعر حلو ماقولش لحد عليه بياخدهم المكتب و يسلمهم لمركب فلبيني واقفه في المينا تدبحهم و تحطهم في التلاجة و تطلع رحلتها على الفلبين والكل يكسب، هناك بيحبوا لحمته قوي.

فتح ناجي فمه و جحظت عيناه و لم يستطع النطق، كانت الفرصة لكمال أن يكمل حديثه:

- مالك مستغرب كده؟ لعلمك ابقى دور في الشارع أو المنطقة لو لقيت كلب ابقى قولي :

كان ناجي يعاني من الغثيان و أصابه القرف و قال في صوتٍ متقطع :

- أنا شايف المنطقة لسه مليانه كلاب.

رد كمال فرحًا:

- حدد لي واقفين فين ؟

- لا دول قاعدين، هامشي عشان رايح قهوة بوبوس فيه ناس منتظراني.

سار ناجي مترنحًا كمن مسه الجن، تسوقه قدماه بينما عقله يكاد أن يذهب مغادرًا رأسه كي يستريح قليلاً من أوجاع ألمت به منذ الصباح الوحيد منذ إدراكه للحياة الذي تمنى ألا تشرق له شمسًا لكنها أشرقت على الدنيا بأمر ربها رغم أنف البشر بينما لم تُأمر أن تشرق لهم نفوسهم المظلمة ليلاقوا ربهم بما صنعت أيديهم وقت ظلام أنفسهم يوم تشرق الشمس من مغربها.

مقهى الحاج " بوبوس " الذي يرتاده ناجي للترويح عن نفسه والاسترخاء بمنطقة فسيحة أمامها جعلت منه زبونًا يسعى قدامى مريديها و عليهم ألا يكون هناك غريب بينهم إلا و قد فحصوه هيئةً و سلوكًا و متابعة تحركاته لتظهر شخصيته مبدئيًا إلى أن يتم الحفر فيه جيدًا و يرتاح البال فيهم، لمح ناجي شلة المعاشات ترقبه من بعيد حتي اقترب منهم فنادى عليه أحدهم و أضخمه جسمًا و كأنه زعيم الفيلة:

- أكابتن .. كابتن ... يا كابتن.

تجاهل ناجي نداءه ممتعضًا ليعلو صوت المُنادي:

- بقولك إيه يا أخ .. أيوه انت.. أيوه.. لو سمحت.

توجه ناجي ببطئ إلى حيث تجلس الشلة و جميعهم قد تخطوا الخامسة والستين و قال:

- السلام عليكم ، خير بتنده عليا ؟

- آه فعلاً ، بننده عايزين نتعرف عليك.

اغتاظ ناجي من طريقة هذا الرجل قليل الذوق في مخاطبته بطريقة كأن بينهم عشرة طويلة و تاريخ، ثم قال و جميع الحضور يفحصونه بشكل مفضوح فقال و الدهشة تتملك منه:

- هو فيه حاجة ممكن أعملها لك؟

- لا أبدًا بس عايزين نتشرف بمعرفتك، تعالى اقعد جنبي.

- لا شكرًا أنا هاقعد هناك في الوسع .

الزعيم بدت على ملامحه علامات الانهزام أمام صحبته لكنه تماسك و قال :

- هو أنت تبع الصحافة و الاّ الري ؟

- لا صحافة و لا ري ، تبع التموين.

- آه فعلاً شكلك مش غريب عليا، اسمك تقريبًا...

ينهي ناجي هذا الموقف ببرود وقال:

- ناجي .. اسمي ناجي، بعد إذنكم.

ابتعد ناجي متأففًا عن شلة الفضول و التناحه ليزداد غمًا على غمه الذي يتجرع كئوسه منذ مساء أمس و قرر العودة لمنزله و كفاه من الدست كل ما فيه.

ما أن أدار ناجي لشلة المعاشات ظهره حتى بدأ نشاطهم بالغمز و اللمز على طريقة مشيته و هو فارد ذراعيه كمجدافي

قاربٍ صغيرٍ يسير على سطح ماءٍ بلا أمواج، راقبوه دون أن يلمحهم و بدأ حوارهم:

- واخد بالك أنت، شوفت يا مرعي و هو بيقولك خير فيه حاجة عايزني أعملها، بيتكلم وهو حاطط إيده في جيبه كأنه الملك فاروق ابن الحاجة نازلي بتاعة الفجل و الجرجير هئ هئ هيئو.

- و بتقوله اقعد معانا، يرد بألاطه و يقولك لا شكرًا، عايز يفهمك إن إحنا مش من مستواه، و هو يادوبك مفتش تموين يعني آخره يراقب فرن عيش عشان الفرن مايبعش الدقيق بتاع الدعم، يعني الفران له قيمة عنه.

- فران إيه يا سعدون ده يادوبك يساوى رغيف ناشف في الفرن ها ها.

- رغيف إيه صلّي ع النبي، ده رغيف محروق تقرف الفراخ تاكله لما يحطهوه لها.

- و الله يا متولي حسّيت أول ما دخل علينا أنه رغيف فينو من أبو رُبع جنيه، اللي زي ده سريره يبقى طاولة يرش عليها دقيق عشان مايلزقش و هو نايم هاها هاااااااا

- وعلى كده ساكن فين في الحتة بتاعتنا ؟

- ساكن في المخبز الآلي، ده طلع شوال بجد هيئ هيئ هيئو .

- و ربنا حلوة منك يا سعدون، كفاية كده عليه أحسن يلدن، سلامو عليكم يارجاله.

ضحك الجميع بقعقعةٍ عالية لفتت أنظار الجالسين على المقهى سواء أكانوا عابرين سبيل ينتظرون فحص عواجيز الزفة " السمجة " أو المترددين الدائمين و لا يستطيع أحدٌ الاقتراب منهم.

واصل ناجي سيره نحو منزله مارًا بالمسجد المغلق بعد الصلوات و عن يمينه نجار آخر غير فاروق العبيط يسمى " الأطرش " يهوى تربية الحمام و يتاجر فيه يليه المنزل الذي تسكن فيه الآنسة " آمال العيوطي " مع أمها بالدورالأول العلوي، لمحت آمال المنتظرة عودة ناجي بعد متابعة تحركاته منذ خروجه من المسجد.

موقعها في الشُرفة يكشف لها الشارع من أوله، تنهدت تنهيدةً طويلةً حتى اقترب من تحت شرفتها فألقت أمامه ورقة في مشبك غسيل ثم نادت عليه:

- يا أستاذ، معلش حُط لو سمحت المشبك اللي وقع مني ده في الشنطة اللي هانزلها لحضرتك، المشبك بس و ألف شكر.

ثم أردفت بنعومةٍ شديدةٍ.

- أسفه بجد إني عطلت حضرتك، ألف شكر.. شكرًا شكرًا.

فهم ناجي ما فعلته آمال ووضع الورقة في جيبه خلسة حرصًا من عيون ترقبه و لم يراها.

دخلت آمال متهللة الوجه وشبه مضطربة والقلب يدق بعنف و قالت لأمها:

- خد الورقة يا ماما اللي فيها رقم، يارب يفهم و يتصل دلوقتي قبل ما ينام، بس شكله يا ماما و طريقته كلها ذوق و أدب، مارفعش عينه حتى عشان يشوفني.

- ربنا يا بنتي يجعله من نصيبك إن كان ابن حلال، و يغور بعيد عننا، إن كان ابن حرام، قادر يا كريم.

لم ينتظر ناجي طويلاً و فتح الورقة أثناء صعوده الدرج ، دخل منزله مندهشًا يساوره الشكوك في الهدف من هذه الفعلة التي بدت له جريئة، ثم قال لنفسه النهار باين شكله من أوله ثم تفاءل وعاد ليقول ربما هدفها خيرعمومًا هاعرف بعد ما اتعشى عشان أنا خلصان، منك لله يا شريف قلبت عيشتي و سودتها على دماغي، بس برضه هاراضيك عشان المرحومة ماما.

دخل بلكونة منزله بعدما بدّل ملابسه ونظر ناحية شرفة منزل آمال وجدها تنظر إليه و تفعل إشارة بوضع يدها على أذنها ففهم المعنى أن عليه الاتصال بها حالاً.

- ألو سلامو عليكم.

قالت برقة زائدة لكن مع تحفظ:

- عليكم السلام أستاذ ناجي، ازي حضرتك ؟ أنا آمال جارتك.

- أهلاً و سهلاً استاذه آمال، أنا بخير الحمد لله و حضرتك ؟

- يا رب دايمًا، الحقيقة ماما هي اللي قالت لي اتصل بيك، لأن صعبان عليها عيشتك لوحدك بتفكرها باخويا الكبير اللي عايش في استراليا من زمان، و قالت لي يا آمال حاسه أنه زي " حسين " ابني بالظبط في حاله و مؤدب مابيرفعش عينه من الأرض وهو ماشي في الشارع، مش زي الشباب البجح اللي عينيهم عايزه خلعها قبل ما ينزلوا من البيت ها ها.

- الله يخليها لكم، الأم في البيت نعمة ، سلم لي عليها و اشكريها لاهتمامها و ربنا يرجع ابنكم بالسلامة.

- لا ده أخويا مش ابننا، أنا لسه مافيش نصيب.

- إن شاء الله ربنا ما بينساش حد من عباده، ألف شكر أستاذة آمال، تصبحي علي خير؛ عشان عندي حاجات كتير في البيت هاعملها.

- ربنا معاك يا أستاذ ناجي، وحضرتك من أهل الخير، مع السلامه بالسلامه مع سلامة الله يا أستاذ ناجي، ابقى اسمح لي حضرتك اتصل بيك تاني عشان اطمن ماما عليك.

- طبعًا أي وقت، بسلام الله.

يحدث نفسه :

- ماما برضه يا بنت اللئيمة ؟

ابتسم ابتسامة رضا لأول مرّة منذ أمس، و أقبل يتناول العشاء بشهيةٍ لذيذة و متعة غريبة عليه.

مرت ساعة من بعد العشاء حدث نفسه فيها كثيرًا و لم يجد أي موضوع محدد يمسك طرف الخيط فيه و يستمر حتى نهايته، بل كل الخيوط تشابكت كعادة تفكيره العشوائي سبب فشل كل قصص الحب والغرام التي عاشها من قبل وحقق فيها فشل تفوق فيه على كل الخائبين، مع كوب من الشاي أخذ مقعد يجلس في شرفة منزله.

أول ما لاحظ أن الشارع خلا من الكلاب التي كانت تعج به و النباح منها طوال الليل لا ينقطع ، يتذكر أن أنثي الكلب شقراء اللون كانت تنبح بنغماتٍ مختلفة تنادي بها على كلاب الشوارع المجاورة فيأتون إليها سعيًا وراء أنوثتها، إذا لم يروق لها الذكر القادم من الجوار تنمرت له وهجمت عليه معلنةً له أنه فهم النداء خطأ و عليه الرحيل و لا خجل فالليل ساتر، أما إذا

عصى أمرها، نبحت ليأتي ذكرٌ أقوى يلقنه درسًا في كيفية التعامل مع الإناث، و يعدو وراءه حتى يرحل.

الذكر المهزوم تتدلى أذنيه و يرتخي ذيله و الرأس تكون منكّسة شاخصة البصرلأرض الأسفلت، أثناء عدوه ينظر خلفه مرات نحو المنتصر و ينبح نبحة المنكسر و كأنه اكتفي بالسباب و الشتائم مؤقتا على أمل العودة لساحة قتالٍ أخرى أمامه يتفاءل بأرضها.

تعاطف ناجي مع الكلبة شقراء اللون لما وجدها تعرج و قد هُزل الجسد فيها بعد نجاتها من مذبحة الكلاب التي قادها كمال الدمياطي صاحب العمارة الحديثة التي تقع أمامه مباشرة، ما عادت الكلبة تنبح كعهدها ، شعر أنها سيدة عجوز كانت محط أنظار الرجال في شبابها، و عندما هرمت و وهن العظم منها تمنت أن تتزوج و لو بواب العمارة فأبى و استعصم و نأى بجانبه و كان عنها بجلده من الفارين.

سر تعاطفه مع سيدة كلاب الشارع وحدتها كحالته والألم فيها بعدما ترملت بذبح أزواجها الثلاثين من الذكور الذين تم اصطيادهم بلا رحمة مجرد الحصول على مالٍ قوامه خمسين جنيها عن الذكر الواحد، يا لقسوة الوحدة و الملل فيها بعد حلاوة اللمة و الأنس فيها و استدعاء شلة الأنس من خلال نبحة واحدة يأتون إليها طائعين و يستمر السمر و المداعبة حتى نور الصباح، وقتها عيون البشر ترقب تحركاتهم و لا يترددون في إيذائهم لا لسبب إلا لكونهم كلاب.

الفصل السادس

شمس صباح اليوم بدت حانية على عُبّاد الله في المدينة عامة و الشارع خاصة لعلهم أن يحمدوا خالق الشمس و القمر الليل و النهار و ينأون بأنفسهم عن طباع سيئة ظنوا أنها هيّنة و هي عند الله عظيمة.

اليوم موعد وصول رئيفة بطيب الأطعمة الفلاحي من زبدة و فطير مشلتت و بيض بلدي و خلافه، و الأهم ما طلبه كمال الدمياطي منها قبل مغادرتها الشارع الأسبوع الماضي، عندما تجلس رئيفة أمام فرن منزلها بالريف القادمة منه و الذي عاشت فيه طول حياتها، فهي قد أمضت رحلتها الماضية مع الحياة هكذا، ولدت .. كبرت .. تزوجت .. أنجبت .. ثم ترملت، و الآن يأخذها الحنين لزوج يعوضها عن تعب رحلة الكفاح، التي ما رأت فيها للسعادة طعمًا بل غرقت في المسئوليات، و كان الفقر و العوز غلافًا لها لا يتبدل بل تهترئ جنباته بفتحات تمزقت فلا يسترها إلا الرتق بالصبر الطويل.

أتي إليها كالمعتاد بعدما راقبها من أعلى سطح عمارته بديعة التصميم و الألوان، عندما رأى أن بضاعتها كادت تنفذ بالبيع للزبائن كلهم من النساء يحجزون طلباتهم من رئيفة و ينتظرون عودتها من بلدتها للتسليم و دفع قيمتها، بل يزيدون على العربون المدفوع مسبقاً للجدّية، يتبختر كمال فاتحًا رجليه أثناء السير للتوازن، و يلقي بتحية الصباح على فاروق العبيط

النجار، ثم يحاول اقتلاع بسمة ليهديها لرئيفة جزاء تغذيتها لكرشه الذي لا يتمتع إلا يوم وصولها، و في غير ذلك اليوم جفاف و شُح حفاظًا على مالٍ تم جمعه ليزيد فهو لا يقبل النقصان، نظر ليبحث عن وجبته بين البضاعة المعدة للبيع و قال :

- حمد الله على سلامتك يا رئيفة واحشاني، باستناكي و باحس بغيابك إني مش هنا.

تعجبت رئيفة مما سمعت، فأحدثت صوتًا بشفتيها و قالت:

- صباح الخير يا سي كمال، بتقول الكلام الحلو ده ليا؟ بتحس إنك مش هنا و آني غايبة؟ أومال بتبقي فين؟ أكيد في البنك، لما تيجي يا أخويا و تعرف إنك بقيت هنا هتلاقيني قاعدة ع الرصيف مستنياك.

- عليكي لسان ما شاء الله، عارفة أنتي بتقولي إيه و تلسعي و تجري.

- و النبي يا أخويا أنا غلبانه لا أعرف ألسع و لا أقرص، كلمتي بقى عن أخبارك و أخبار الشارع الكام يوم اللي كنت فيهم في البلد.

كان كمال سعيدًا بالسؤال المنتظر ليمارس هوايته المفضلة بعد جمع الأموال و النوم بالمسجد، فظل ينظر لأعلى و كأنه يستدعي ما يقول ثم يتنهد و يبتسم ابتسامته البلهاء و قال :

- الراجل اللي ساكن قدامنا في الشقه اللي فوق دي

وأشار بيده علئ الدور الأول

- ماتبصيش يكون واقف ياخد باله، إمبارح دب خناقه مع أخوه ليها العجب، أخوه أبو دقن اللي أكبر منه، و تقريبًا مسكوا

لبعض السكاكين و الصغير اللي اسمه ناجي سمعناه و هو بيقوله : مش هسيبك إلا لما أموتك يا، بقى تاخد ورثي في عمارة أبويا و تاكله عليا؟، أنا مش، أنا أعرف آخد حقي كويس بالقانون و بالدراع، و الكبير يرد عليه و يقوله مش عاجبك عشرة مليون جنيه دا انت طماع قوي يا أخي، دا أنا اللي مربيك في الآخر عايز تخنقني و تموتني و تيتم، بقى دي وصية ماما يا ناجي ؟

رئيفة شدها الحوار المتقن من كمال و وجهه الذي امتلأ بتعبيرات مختلفة و قالت:

- على كده ناجي ده طلع مبسوط و مريّش، أومال يا أخويا ساكن بالإيجار عشان يخزي العين والا إيه ؟ كلهه فعلا ميه من تحت تبن، حاكم ما يستحيش و يحمد ربنا إلا الفقير، و علي كده يا أبو الكيم أنت ممكن تبيع له شقة في عمارتك مدامت معاه فلوس تريحه و أنت كمان تكسب.

انفرجت أسارير كمال و أعجبته الفكرة :

- يجيب يا أختي مليون و نص و أنا اديله الشقة الفاضية اللي في التالت، أهو أحسن من غيره، أنا شايفة إنه راجل جدع و في حاله مش هايعمل قلق زي السكان، أومال فين الأكل اللي وصيتك عليه ؟

- آه منك يا بتاع بطنك، جاهز أهو خده، إلحق حطه في التلاجه الجو حر بدل ما يبوظ.

يرفع أذان الظهر بصوتٍ أصعب من المعتاد، و غير مقبول بالمرة، كأنه ينادي مسرعًا لبيع الخضروات في السوق.

- ده صوت عبده البواب لما يجعّر و يعمل إنه النقشبندي، علئ كده يبقى الحاج مصطفى لسه ماصحاش من النوم، لما أروح أجهز للصلاة .

سؤال لئيم من رئيفة أرادت به إحراج كمال :

- هو أنت بتصلّي يا سي كمال ؟

رد كمال مضطربًا :

- أومال يا وليه باروح الجامع عشان ألعب طاولة مثلاً ؟!.

- أهو يا أخويا بيقولوا و كلام الناس كتير و ساعات بيزودوا من عندهم بلاوي سودا.

كمال منفعلاً :

- ما تقولي و تقصري الكلام.

- بيقولوا عليك أنك بتدخل الجامع و تقعد على كرسي في آخر صف و تشّخر وقت الصلاة.

يصطنع الدهشة مستنكرًا ما سمع :

- ولاد الهرمه نفوسهم كلها حقد عليا، من ساعة ما بنيت العمارة دي بعد العمارتين اللي جوا البلد و هما نازلين قر، الناس هنا زبالة عن اللي في وسط البلد، اتربوا و عاشوا على العك و اللبخ من سنين، يلا أنا رايح ألحق التكييف شوية.

رئيفة بحسرة :

- تلحق التكييف؟!

- أقصد ألحق الصلاة في التكييف، لما بشوفك باتلخبط يا قمر هئ هئ.

- و الله أنا اللي دماغي متلخبطه، ابقى ادعيلنا يا سي كمال.

- ادعيلنا بإيه ؟

يعلو صوتها بشبه صرخة :
- ادعيلنا إن عمارتك تقع على دماغي و ارتاح منك.
بجدية و قلق :
- حرام عليكي، دي واقفة عليا ب ٢٥ مليون جنيه في أيّام الرخص.
- روح يا شيخ، الله.. و الاّ بلاش.

الحاجة كوثر ما ذاقت للنوم طعمًا ليلة أمس، كما توقعت إزداد حال زوجها الشيخ علي البهتيمي غموضًا، وأصبح لا يهتم بمنزله و معايشته و التزاماته تجاهه و لا يعتبرأن فيه زوجة تنتظره لتناول الطعام معه و الجلوس معا لتدارس أحوال البيت و الأقارب و أحياناً البلد، و لا حتى النوم في فراشه، كان من قبل يرفض تنفيذ أية مأمورية عملٍ يكون فيها مبيت خارج منزله، حتى و إن أغروه بالمال.

لقد أتي لمنزله أول أمس بعد مكالمة وفاء شقيقة زوجته لزوجته كوثر قبيل العصر، و فِي غيابه حاملاً معه حقيبة سفر كبيرة الحجم سوداء اللون، و استراح قليلا ثم خرج قبيل صلاة العشاء و لم يعد حتي الآن مما يعني أنه بات ليلته خارج المنزل غيرعابئ بالزوجة المنتظرة وصوله كل ثانية، إنه حتى لم يتصل بالهاتف يطمئن عليها أو يطمئنها عليه، لا يرد على اتصالاتها منذ الأمس، اللهم إلا رنين تسمعه و لا إجابة.

كانت مضطرة للاتصال بشقيقتها الصغرى وفاء تفضي إليها بما حدث منه، و تطلب المدد و النصيحة :

- أيوه يا وفاء، الموضوع بتاع علي جوزي أتطور، و ليلة إمبارح مابتش في البيت لأول مرّة في من ساعة ما اتجوزنا، و أنا كنت قلقانة، لكن دلوقتي بقيت مرعوبة، مش عارفة أتصرف يا وفاء قاعدة طول الوقت أعيط و ادعي ربنا يطمن قلبي و بس.
- شوفي يا كوكو مافيش غير الحل اللي قولتلك عليه، أقول لأشرف جوزي و هو يتصرف و ماتخافيش مش هايجيب سيرتك و لا حتي هو هايكون في الصورة، خليكي عملية يا كوثر و وسيبيني أتصل بأشرف و أقول له.
- المصيبة إنه إمبارح رجع بشنطة سفر كبيرة و باين عليها تقيلة دخل بيها أوضته و هو خارج خدها معاه و بعدين ما شفتوش.
- الموضوع كده يقلق يا كوثر، إيه علاقة شغله في الفرن الإفرنجي بشنطة سفر؟ بقولك إيه ماتخلنيش أتصرف بدماغي أديني قلت لك و هانفذ، يلا سلام دلوقتي قبل ما أشرف ينشغل في أي مأمورية.

عاد ناجي من مقر عمله و عرج على السوق الكبير للمدينة كما يسمونه قدامى السكان و اشترى ما رآه صالحًا له و يروقه، ثم توجه إلى منزله يتناول طعام الغذاء، ثم يستريح بعدها يبدأ السهرة وحيدًا التي لا يعرف متي تنتهي و أين يقضيها فهو العشوائي و لا حرج، رفع عينيه من مدخل الشارع وجد آمال واقفة في شرفتها في كامل هيئتها، و الألوان الفواتح في منطقة الجسم العلوية لها زادتها إشراقًا كلما اقترب خفف من تركيز

النظر إليها ليكتفي بالنظرات المتقطعة في خلسة، صعد إلي منزله ليسمع رنين هاتفه المحمول:

- الو أيوه أستاذة آمال ... الله يسلمك.

- تسلملي يا ناجي، آسفه يا أستاذ ناجي، طلعت مني غلطة ماقصدش، بجد أسفه قوي.

- لا أبداً خدي راحتك أستاذة آمال.

- طب أنت تاخد راحتك و قول آمال.

- ماشي يا آمال.

- تصور أول مرّة أحس إن اسمي حلو لما سمعته منك، أصل أنا بطبعي ماحبش الاختلاط مع حد، عشان كده دايمًا وحدانية.

تشجّع ناجي و قال:

- أنا زيك بالظبط الاختلاط بالناس بيجيب وجع قلب.

- طب على كده ليك تجارب ؟

- مش فاهم، تجارب إيه ؟

قالت بصوتٍ محشو بخجلٍ مصطنع:

- أقصد تجارب مع الحريم، يعني قصص من إياها و كده.

- ده موضوع بالنسبة لي ماعرفش ليه تفسير إزاي بيبدأ و ليه بينتهي و مين الغلط و مين الصح ؟.

- ها ها ها معقولة؟ ما افتكرش الإجابة دي تقصدها، لان الراجل هو اللي يعرف و البنت هي اللي تتفاجأ و تتصدم.

- يمكن كلامك ده منطقي، بس اللي قولته لك حقيقة ؛ و نفسي أفهم نفسي الأول و بعدها افهم غيري، بكلمك بصدق و ماعنديش غيره.

- طبعًا مصدقاك و حاسه بيك، أنت إنسان جميل من كله.

- الله يخليكي ده من ذوقك يا آمال، استأذنك أدخل المطبخ أحضر الغدا.
- بالهنا يا رب، هتتغدى ايه؟ لو ينفع تجي تتغدا معانا تشرفنا.
- ألف شكر عندي خضار و رز و لحمة، أصل أنا بحب البطاطس الصينية.
سبحان الله و أنا كمان باموت فيها و باعملها حكاية، هييجي اليوم اللي تدوقها من إيدي ساعتها هاتقول مافيش أحلى من كده.
- شكرًا ربنا يخليكي، سلام يا آمال دلوقتي.
- سلام يا ناجي، أشوفك على خير و سعادة و هنا.
- ربنا يكرمك يا آمال، سلام.
بعدما أغلق ناجي الهاتف لم يذهب لإعداد الطعام كما قرر لكنه استرخى على سريره بملابس الخروج ؛ و أخذ يحدث نفسه :
- و بعدين في الحكاية دي ؟ هو أنا عندي استعداد أدخل قصة حب من جديد و أفشل برضه ؟، البت دي باين عليها طيبة بدليل حركاتها و كلامها كله مكشوف برغم أنها مش غبية ، و الشارع المفضوح ده ماينفعش فيه أعمل قصة حب لغاية ما اكتشف إنها تنفع اتجوزها و الا لأه ؟، و مش أنا اللي اتدب مرّة واحدة بعد ما اتدبيت و اتصدمت قبل كده، كفاية نيفين و رحاب و سمر كل واحده منهم عايزه يتكتب عنها رواية عن فشلي الفظيع معاها، كلهم طبعاً اتجوزوا و خلفوا و أنا اللي قاعد عامل زي قرد قطع و ناقص أقلد نوم العازب ما أنا لو حطيت رجلي معاها في حكاية حب بالنسبة لي جواز و كمان بالنسبة لها.

جرس الباب يقطع حديث النفس الهام و المحيّر، يجيب ناجي:

- أيوه حاضر، ثواني.

يجد أمامه " علاء الدياسطي " و ابتسامة عريضة مصطنعة و قال:

- أنا آسف يا أستاذ ناجي، عارف إن ما اتصلتش بيك قبل ما آجي، لكن الظروف حكمت كنت بقضي مشوار جنبك قلت أفوت عليك اشرب فنجان قهوة و اشحن الموبايل لأنه فاصل شحن.

صدمة ناجي بزيارة علاء أربكته و لم يرحب به و قال بصوت هابط متردد :

- لا أبدا، أي وقت اتفضل.

- أنا مش هاخد من وقتك كتير نص ساعة بس ، ورايا مشاغل كتير و مشاكل محتاجة شهور عشان تتحل.

- أعملك القهوة ؟

- آه من فضلك تكون سكر زيادة بن وسط و تغليها، باشربها كده من أيّام ما كنت في برازيليا، الناس هناك معظمهم مجرمين، بس طبعاً مش معايا لأني أعرف اتفاهم معاهم كويس، أنت عارف الست اللى ساكنه في الشقة اللي تحت؟ ست كويسه جداً و ظروفها صعبة لكنها محترمة، الحقيقة أنا بقدرها من ساعة ما جت العمارة، ليها ابن صغير قاعد معاها، مرّة الناس في الشارع حبوا يشتغلوا عليها ظبطتهم و ورتهمم العين الحمرا، و هددتهم انها تبلغ عنهم.

- القهوه يا أستاذ علاء.

- بلاش أستاذ علاء دي، هو أنت شايفني ماسك تباشيرة و واقف ع السبورة ها ها ها.

ناجي بقرف:

- احترامك واجب علاء باشا.

- إنت اللي راجل طيب، بحب فيك إنك في حالك و الست اللي تحت برضه زيك في حالها ، لما تشوفني تقولي من فضلك يا أستاذ علاء خلي السكان اللي فوق يهتموا بالنضافة شوية لإن مية الغسيل بتنزل تنقط عليا و أنا مش عايزه أطلع أمسح بيهم الأرض لإنهم مش قدي، ست فعلاً طيبة، هي بصراحة بتحترمني جداً و لما تعوز أي حاجة تقولى و أنا على طول أعملها لها، أنا بحب أخدم الناس خاصة لما تلجأ ليا.

بدأ ناجي يمسك برأسه من دقات عنيفة تدق فيها و بصوت مخنوق :

- معلش سامحني أنا مالي و مال الست اللي تحت و حكاياتها ، أنا زي ما أنت قلت في حالي.

ابتسم علاء ابتسامة لها مغزى في نفسه وحده و أردف قائلاً :

- أنا بس حبيت أفهمك إن الست دي طيبة و غلبانة عشان تبقى عارف السكان و إنها غيرهم خالص و فى نفس الوقت تعرف تاخد حقها من أي حد، الموبايل كده وصل ٢٠٪ شحن يوصلني لغاية البيت، استأذن يا ناجي و أوعدك إن أجيلك تانى قريب عشان مستعجل في أمور منزلية عندي في البيت أقوم بيها.

يعلو صوته كعادته أمام باب الشقة...

- و ما تنساش اللي قولت لك عليه، الناس بقت زبالة لابد من إنها تتعامل بشدة عشان تلزم حدودها، هاجيلك تاني أول

الأسبوع الجاي ، سلام دلوقتي ، سلامو عليكو يا أخ ناجي، اقفل الباب خلاص، اقفل الباب.

صرخ ناجي قائلاً :

- منك لله يا شريف يا أخويا.

اتصلت وفاء زوجة العميد أشرف بشقيقتها الكبرى كوثر:

- أيوه يا كوكو، ازيك يا حبيبتي ؟

ترد عليها بصوت يملؤه الحزن و قلة الحيلة :

- الحمد لله ع اللي يجيبه ربنا يا وفاء، أهو يا أختي الحال علي ما هو عليه من ساعة ما كلمتك، برضه لسه مجاش و ما بيردش علي تليفوناتي مع إن بيديني جرس، ربنا يجيب المخبي لطيف.

- طب إنتي فاضية النهارده بعد العشا يكون أشرف رجع من الشغل ؟

- خير يا وفاء قلقتيني، هو أشرف عرف حاجة عن علي ؟

- علمي علمك يا اختي و الله، كل ما فيها إنه إتصل بيا و قالي ضروري أقابل أختك كوثر لما ارجع، نبهي عليها عايزها لأمر مهم، حبيت استفسر منه إنتي عارفاه لا أخدت منه حق ولا باطل، عمل عليا ظابط مباحث.

- طب يا أختي ما تتصلي بيه تاني أو هو عارف نمرتي يكلمني ، لان كده نفسيتي تعبت أكتر ما هي، معلش عشان خاطري يا وفاء.

- طب خليكي معايا ع الموبايل و هاطلبه من التليفون الأرضي ما تقفليش.
- ايوه من فضلك إديني مكتب سيادة العميد أشرف، قوله المدام
- أيوه يا أشرف ممكن يا حبيبي تقول حاجة تطمن بيها كوثر لأنها قلقانة.
- أشرف.. أشرف، معايا يا كوثر؟
- ايوه يا وفاء معاكي، قالك إيه يا حبيبتي ؟
- و لا حاجة قفل السكة في وشي، و ديني ما أنا سايباه لما يرجع البيت، بقى أنا يتقفل السكه في وشي.

كوثر في خجل :

- سامحيني يا وفاء أنا السبب، عمومًا هجيلك حاضر واتقابل معاه، بس أمانة عليكي ما تكلميه و لا تعاتبيه على قفل السكة، تلاقيه بس كان مشغول أو الشبكة ضعيفة، مع السلامة يا وفاء.

بعدما قام كمال الدمياطي بتكييف جسده و رأسه الضخم مع أخذ ما يقرب من ثلاثة أرباع الساعة في نومٍ متقطع كالثعلب الهارب، عيناه إحداهما مفتوحة و الثانية مغمضة و بعض الوقت الاثنتين مغمضتين وقت ذروة الصلاة و قبيل ختامها، خرج من المسجد مع المصلين بشكل عادي جدا فهو بالفعل كان بالداخل معهم، توجه إلي حيث تجلس رئيفة فوق الرصيف بصحبة بضاعتها الطازجة، كانت بصحبتها إمرأة من الشارع، ما أن رأته المرأة إلا وقامت بتحية رئيفة و انصرفت، تمّعن كمال في تعبيرات وجه رئيفة المقلوب علي غير عادتها فلم يستبشر خيرًا و قال مداعباً:

- الجميل ماله شكله زعلان، هي الست الفقرية اللي كانت جنبك دي قالت لك حاجة ؟

أجابت رئيفة بحدةٍ دون النظر إليه:

- لا قالت و لا عادت، شوف يا ابن الناس؛ انت ماعدتش تيجي تقف هنا تاني و تكلمني، و إذا كان ع الرصيف بتاعك آني هاقوم من عليه و اقعد ع الرصيف، أنا ست في حالي وغلبانة و باسعى على لقمة عيش حلال لأولادي اليتامى ، لا انا ناقصة حد يجيب سيرتي و لا يقول عليا أيتها كلمة ، يلا بقى شوف حالك و اطلع على عمارتك و سيبني باللي أنا فيه.

نظر كمال و قد أصابه انزعاج وصل إلى حد الفزع :

- الله الله مالك يا ولية، مش فاهم حاجة م اللى قولتيه، هو انا لا سمح الله كلمتك في حاجة بطالة؟، ما إنتي عارفة غرضي و هاييجي بأوانه بس أظبط حالي و يحصل.

رئيفة بنفس الانفعال :

- يحصل مايحصلش ماتفرقش معايا، المهم سمعتي زي ما جيت بيها من بلدنا أرجع بيها و أحسن، لو انت صحيح عند كلمتك أنت عارف بلدنا و دليتك عليها، غير كده يللا لو سمحت امشي من هنا الناس بتبص عليا.

- ماشي يا رئيفة، فعلاً اللي تفتكره موسى يطلع فرعون، طب هاتي الأكل اللي جايباه ليا أحطه في التلاجة.

- ما تعملش حسابك إن أجيبلك أكل تاني، ابقى اشتري ما انتاش فقير، وإن كان ع الأكل اللي جبته، خلاص بح، فاروق النجار اشتراه وعطاني تمنه.

صدمة كمال جعلته يدير لها ظهره دون حرف، فسار مطأطئ الرأس كمن يسير على رأسه و توجه ببطءٍ شديدٍ نحو مدخل عمارته الأنيق ، يلمح فاروق ينظر إليه بعينين مفتوحتين عن آخرهما و تعلو شفتيه بسمة بها مزيج من السخرية و الشماتة، عند اقتراب كمال منه سأله في لؤم:

- إيه الأخبار؟

أجاب كمال بإنفعال يفوق عادته:

- لا أخبار و لا زفت خليك في حالك و سيب الناس في حالها، شارع غريب بكل اللي فيه، نجينا يا رب منكم.

الفصل السابع

لم تستطع الحاجة كوثر صبرًا على البقاء في منزلها، ارتدت ملابسها، و استقلت سيارة أجرة و الفكر فيها أسرع من عجلات السيارة و حرارة موتورها صيفًا، توجهت حيث أبراج الشرطة التي تسكن فيها شقيقتها " وفاء " و عائلتها الصغيرة بقيادة زوجها العميد أشرف، أشرق وجه وفاء برؤية الأخت الكبرى طيبة القلب مستقيمة النوايا وقالت متهللة:

- خطوة عزيزة يا كوكو، من زمان يا حبيبتي ما زورتنيش و ده كان بيخليني ساعات واخده على خاطري، المهم دلوقتي إنك نورتيني و شرفتيني يا أحلى كوكو، يا ولاد تعالوا سلموا على خالتكم كوثر.

أجابت كوثر في خجل :

- و النبي ما تاخدي على خاطرك مني يا وفاء و انا جايه و إيدي فاضية، و حياة ربنا ما عرفت طريق السوق منين من اللي أنا، سامحيني يا حبيبتي و تتعوض في ظروف تانية إن شاء الله.

- إحنا اخوات يا كوكو مافيش فرق بينا يا حبيبتي، اتفضلي استريحي، أروح أعملك الشاي وعلى ما ييجي أشرف يكون الغدا جاهز.

- لا غدا و لا عشا الله يخليكي يا حبيبتي فوفا، و الله ما دخل بوقي لقمة من الصبح و لا فيه نفس للأكل و دماغي بتروح و تيجي و مش عارفه أرسى على بر.

وفاء تحاول التخفيف عنها :

- شويه و أشرف ييجي يطمنا على " علي " و يقولك إنه بخير و نسهر مع بعض نضحك زي زمان، وحشتني قعدتك الحلوة يا كوكو يا جميل انت.

- ربنا يجبر بخاطرك يا وفاء و يطمنك على جوزك و ولادك.

- جوزي ؟! اللي قفل التليفون في وشي و فاكرني عسكري عنده ؟ و الله ما هاسيبها لك يا أشرف.

ترد كوثر بانفعال خفيف:

- تاني يا وفاء ؟ مش قولتلك عشان خاطري اعتبري اللي حصل بسببي ده ماحصلش، طول عمرك مفترية و نابك أزرق.

- الحق يا حبيبتي هو اللي يخليني كده، و الراجل من دول إن حس إن مراته سهله يأكلها و مايتأخرش، لحظة و اجيلك يا كوثر.

أتت وفاء بصينية ساندوتشات مع كوب الشاي و قالت :

- يلا يا كوكو كلي ساندوتش؛ عشان خاطري؛ عشان معدتك فاضية من الصبح؛ و بلعي بالشاي؛ وسيبها لله هاتتحل يا حبيبتي ، يلا يا ولاد سيبوا خالتكم دلوقتي علشان تعبانة و يلا على أوضتكم، هاروح أنا ع المطبخ، أكمل الغدا، البيت بيتك يا كوكو.

- ربنا يرضيكى يا وفاء، و يجعل السعد بين إيديكي و يبارك لك في ولادك.

ما إن فتح ناجي باب منزله حتى رن هاتفه المحمول، و كما توقع أنها آمال العيطوي فقد لاحظ أنها تراقبه ذهابا وإيابا فقام بالرد عليها و كأنها أصبحت جزءً هامًا و حيويًا من أركان حياته اليومية، ابتسم ورد عليها بصوت حلو المزاج:

- أيوه يا آمال.

- أنا مش آمال يا ابني أنا مامتها.

- أهلا و سهلا يا ماما، آسف أفتكرتك آمال سامحيني.

بحنان الأم الغائب عنها وحيدها:

- من زمان يا ابني نفسي اسمع حد يناديني ماما، حسين ابني مش فاضي لي، اتجوز واحدة أجنبية من اللي قلوبهم حجر نسى معاها أهله، و بقيت أنا اللي أتصل ده إذا رد عليا، يا الله ربنا يسهل له أموره.

يحاول ناجي أن يطيب خاطرها:

- سامحيه يا ماما و اعذريه، الغربة فعلا وحشه، أنا جربتها أربع سنين كاملين في ليبيا كان من ضمن هدفي اسيب الشقة لأخويا الكبير شريف ياخد راحته هو و مراته فيها، و بعدها ندمت و قلت يا ريتني ما سبت أهلي و بلدي و لا شقتي.

- ربنا يا ابني يعوضك خير، هو فيه أم يا ابني تغضب علي ابنها، أهو بيبقى كلام من ورا القلب، ربنا يا ابني يحميك لشبابك و يحفظك لأهلك.

- تسلمي يا ماما و يخليكي لينا.

- مش عايزة أطول عليك في الكلام يا حبيبي، بس إوعى ترفض طلب لأمك.

- طلباتك أوامر يا ست الكل أأمري و الله ما اتأخر.

- يارب يا ابني يجعل الناشفة في إيدك خضرا، ويرزقك رزق سيدنا يعقوب بعد صبره و رزق سيدنا يوسف بعد سجنه، و بعد تنهيدة خفيفة أردفت:

- شوف يا حبيبي أنا عازماك ع العشا النهارده نقعد مع بعض و معانا آمال في الجنينة اللي في آخر البلد في الهوا، بعد صلاة العشا على طول هانكون جاهزين، ناخد تاكسي و نتقابل هناك.

صمت من ناجي فالأمر يحتاج إلى تروي ثم قال :

- بس يا ماما ده كتير عليا، مش عارف أقولك إيه و الله.

- قول لا إله إلا الله و ماتنساش إنك وعدتني إنك تنفذ لي طلبي.

- محمد رسول الله، حاضر يا ماما إن شاء الله.

- يلا يا حبيبي شوف حالك في بيتك انت لسه راجع من بره، ربنا معاك مع السلامة.

- الله يسلمك يا أمي، في أمان الله.

دخل العميد أشرف منزله ملقياً السلام و مرحبًا بشقيقة زوجته قائلاً :

- أهلا بيكي يا حاجة كوثر، و الله زمان يا أم وفاء مراتي الصغيرة، ثواني حضرتك أروح أغير هدومي و اجيلك، اتفضلي استريحي حضرتك البيت بيتك.

ثم نادى على زوجته بحزم :

- يا وفاء سيبي اللي في إيدك و تعالي بسرعة.

أتت إليه مهرولة، و قال لها :

- هاقعد مع الحاجة كوثر لوحدنا، إنتي تشوفي شغلك و العيال ماشفش حد فيهم في الصالون، أعتقد مفهوم.

- أوامرك يا أشرف باشا، لما أشوف أخرتها معاك، من الضهر معاملة ميري، و كأني مراسلة مكتب سيادتك.
- معلش يا حبيبتي، و الله غصب عني الشغل مخليني عصبي، بس أقولك حاجة ؟
- هتقول إيه تاني ما كفاية اللي قولته.
- طب اسمعي بس إدينى فرصة و خليني أقول الحاجة اللي في نفسي.
ابتسمت في تقل و دلال :
- قول يا أشرف و خلصني، اديني سامعه.
- بحبك يا فوفا.
ردت في برودٍ مصطنع:
- طيب.
بعدما بدّل العميد أشرف ملابسه أسرع إلي الصالون، فأغلق بابه حيث تجلس كوثر ورأسها تكاد تشتعل من الأفكار المضطربة، قال لها بصوتٍ هادئ:
- آسف على التأخير يا حاجة كوثر، هادخل في الموضوع على طول، إنتي عارفة أكتر مني حال البلد دلوقتي كل حاجة فيها مضطربة، و فيه جماعات بعينها بتتربص بالبلد و عايزنها تقع بأي شكل عشان تبقي غنيمة ليهم، إحنا بقى و أنتم أقصد الناس مهمتنا نحافظ ع البلد، و إحنا أقصد الشرطة اتعلمنا الدرس من يناير اللي فات بعد الثورة إياها على طول، هو إنتي بتشوفي تليفزيون في بيتك و الاّ الشيخ علي مانعك ؟
- بشوف؛ و خاصة نشرات الأخبار و قلبي بيتقطع على الناس اللي بتموت من غير ذنب و كله غدر في غدر.

نظر أشرف و علامات السعادة على وجهه :

- رأيك ده وقّرعليا مشوار طويل، الله يفتح عليكي زي ما توقعت منك بالظبط.

ازداد قلق كوثر و قالت :

- يا أخويا فهمني و الله ما فاهمة حاجة، آلهي يسترك فسر كلامك.

بنفس الهدوء و المودة، أخرج صورتين من مظروف يحمله و قال:

- حاضر يا حاجة كوثر هافهمك، صور مين دي ؟

قفزت قفزة خفيفة و قالت باضطراب و يدها ترتجف :

- ده علي جوزي، والشنطة دي كانت معاه آخر مرّة جه فيها البيت، أنا فاكراها كويس جدا.

- كده تمام يا حاجة، عشان كده جبتك هنا بيتي بدل ما الشرطة تطلبك و تدخلي معاهم في متاهات و أنا عارف و متأكد إنك بعيدة تماماً عن اللي بيقوم بيه علي جوزك.

بانفعال و اندفاع :

- بيعمل إيه يعني ؟! و الشنطة دي فيها إيه ؟

- أنا استأذنت قياداتي إن أخلص الموضوع معاكي و كمان آخد الصور تشوفيها عشان تقتنعي، الصور دي مصورها رجالتنا إحنا اللي زارعينهم وسط الجماعات دي عشان نسبقهم بوقت كافي قبل التخريب و قتل الناس اللي ملهاش ذنب زي ما قولتي حضرتك.

- لسه كده الوضع مش مقتنعة بيه، سامحنى يا أخويا، هي البلد مافيهاش اللي علي ورا المصايب اللي بتحصل كل ساعة و الاّ إيه بالظبط.

العميد أشرف بحزم الشرطي و مسئوليته:

- اسمعيني كويس و الكلام ده بيني وبينك بس لانك اختي و خايف، علي البهتيمي عضو بارز في الجماعات اللي بتقوم بالعمليات اللي بتشوفيها في التليفزيون من تخريب و قتل أرواح، دم وعلى كان ليه دور حيوي في نقل المتفجرات للمنفذين، و إنتي بعينك شوفتي شنطة المتفجرات فى بيتك كانت معاه.

كوثر تنهار باكية غير مصدقة ما سمعت حتي و إن كان بها شبه يقين أنه الحق، أخذ العميد أشرف يهدأ من روعها و يقول:

- و الله يا حاجه ماكنتش أتمنى أبدا أحطك في الموقف ده و لا أنا أكون فيه، اهدي من فضلك عشان وفاء ما تلاحظش حاجة

- يناولها منديلاً ورقيًّا، و أردف يقول:

- يا ست الكل من فضلك خليني أنجح في المهمة التقيلة دي، امسحي دموعك الله يخليكي و يعطيكي الصبر و القوة.

وفاء تنادي من الخارج :

- يللا يا أشرف الأكل جاهز تعالى قبل ما يبرد و هات أختي الحاجة معاك، و ماتعملش عليها مباحث يا أشرف دي أختي الكبيرة يا حبيبي.

يهم أشرف بالقيام قائلاً بمودة :

- يللا يا حاجة لازم نسمع كلام ست البيت عشان نعيش.

ابتسامة لها مرار من كوثر، ثم بدأت تسأله بنظرة استعطاف:
- هو انتَ متأكد إن علي فعلا بيعمل اللي قلتلي عليه ؟
- يا حاجة مصلحتنا إيه إننا نظلم حد؟ و لو فرضا ظلمنا حد تفتكري أنا ممكن أشارك فى ده ضد جوزك؟ إنتي أختي يا حاجه لازم تتأكدي من كل كلمة قلتها لك، بس أرجوكي و لا حرف من اللي اتقال بيننا حد يعرفه حتي وفاء مراتي،أنا وعدت رؤسائي و غير كده خايف عليكي لأنك ضحية لعلي وأمثاله، يللا بينا اتفضلي الباب أهو، إنتي الأول والله.

ذهب ناجي إلى أقرب صالون حلاقة يقع في منتصف الطريق بين قسم الشرطة و المقهى و يبعد عن مسجد الشارع الصغير خطوات، مشكلة ناجي النفسية أنه يكره الانتظار في كل شيئ في حياته، نفسه قصير و قد يخسرالكثير جراء هذا الطبع السيئ، فالصبر ليس له موقع في قاموسه و ربما هذا سبب من أسباب فشل قصص حبه العديدة منذ نعومة أظافره و حتى حينه، هو يجهل أن المرأة تحتاج صبر أيوب و ثبت بالفعل أنه لا يكفى، ذلك ما أخبرتنا به زوجة أيوب " ناعسة " رضي الله عنها، و سلاما علي الصابر أبانا " أيوب ".

وجد مقاعد الصالون خالية و تلك بغيته بصرف النظر عن النتيجة بعدما يُسلم رأسه الراضية للمجازفة بها و إن شوهت و تلخبطت أركانها.

دخل ملقياً السلام على سيدنا الحلاق العجوز، و الذي بدوره رحب بالزبون الجديد القادم برجليه و ما أتى به أحد و قال بعد نظرة فحص عميقة مباشرة من خلال المرآة و قال :

- أهلا يا أستاذ نورت، طبعاً شعر و دقن.

أومأ ناجي له رأسه بإشارة تعني الموافقة، فأتى الحلاق بأنظف مريلة لديه، و لفها حول رأس ناجي المستسلمة له، و سأله :

- هو حضرتك ساكن جنبنا قريب في المكان ؟

- أيوه

- أصل أنا بشوفك قاعد على قهوة الحاج " بوبوس " اللي بعدينا.

- أحيانًا.

- هو حضرتك وراك فرح أو حفلة ؟

- ليه ؟

- أصل شعرك قصير.

- طبيعته كده.

- هو حد مزعلك من الشارع ؟

- ماحدش يقدر.

- حضرتك بتشتغل إيه ؟

- أرزقي على باب الله.

- و نعم بالله، يعني صاحب صنعه ؟

- آه

- لا أنا مش مقتنع مش باين عليك.

- ليه ؟

- هيئتك، و طريقة كلامك مش ممكن تكون صنايعي.
- شكرًا لمجاملتك.
- مش مجاملة أصل أنا هنا من ساعة ما فتحت، كل أنواع البشر بتفوت عليا، و بيبقوا مش زباييني بس، بيبقوا أخواتي و صحابي و سرنا مع بعض، عارف " عويس " اللي جنبي بتاع السوبر ماركت جاب واحد يشتغل عنده إمبارح الواد سرقة و طفش، يستاهل ماسمعش كلامي لما قولتلك أجيبلك ابني يشتغل معاك بس تراضيه، قالي : هو أنا ببيع أصلاً في السوق النايم ده؟ و الزباين بتاخد على الحساب لما يقبضوا المرتب والمعاش ؛ وكمان بيستهبلوا و مابيدفعوش، يلا أهو ذنب ابني اللي واخد دبلوم صنايع، و قاعد جنب أمه الله يحرقهم الاتنين، أعملك شاي معايا؟
- لا شكرًا، يا ريت تشهل شويه عشان ورايا ميعاد.

الكلام وأسلوبه لم يعجب سيدنا الحلاق فأسرع في الأداء و سبب جرحًا في ذقن ناجي، فوضع له سبرتو ألهب الجرح دون النظر إلى تعبيرات وجهه الحارقة الخارقة.

- نعيمًا يا أستاذ.
- ماشي، كام ؟
- اللي تجيبه عشان أول مرّة تدخل عندي، و لو مافيش عادي و الله.

أخرج ناجي النقود تحت مراقبةٍ دقيقةٍ من الحلاق في المرآة الموضحة لكل التفاصيل ثم ابتسم مرضيًا و قال :

- أي وقت أهلا بيك، خد تليفوني إتصل بيا قبل ما تيجي.
- شكرًا ليك.

- الشكر لله .

حلاقة الشعر و الذقن كانت الخطوة الأولى في استعداد ناجي المرتقب مع آمال في حديقةٍ عامة حيث الخضرة تبعث في نفسه راحة و هذا ما جعله يستريح نوعاً ما في الشارع برغم ما يرى فيه من ما لا يعجبه كثيرًا، فالأشجار تجدها في رونقها على أرصفة الشارع من الجانبين بكامل طوله، و هذا ما يميز المنطقة القديمة بالمدينة، قام باستخدام مكواة البخار بنفسه لأول مرة يكوي بها تيشيرت أصفر اللون حتى يبدو أنيقًا و أصغر عمرًا مع بنطلون أزرق جديد إضافة إلي حذاء أسود قام بتلميعه، ينتظر مرور الدقائق دون أن يدري لما هذا الاهتمام المبالغ فيه ، و لماذا قلبه يدق مع حركة ساعة الحائط المعلقة في الأتريه الصغير بجوار باب الشقة حتى لا يستغرق ثواني أكثر عند الخروج.

على الجانب الآخر نصفه الآخر مؤقتاً مع التفاؤل الحذر آمال، و قد اختارت فستانًا أنيقًا محتشمًا لونه أحمر دم الغزال مع طرحة بمبية اللون، الحذاء كعب عالي حتى لا يراها قصيرة في نظره على الأقل هذه المرّة؛ و بعدها يحدث ما يحدث ، فيها من علامات الأنوثة التي تعوض ذلك و يزيد ، أوصتها أمها بوضع مكياج خفيفٍ، و أن تحدد عينيها الواسعتين و الجميلتين بالكُحل، أما باقي ترتيبات الجلسة كانت من صنع الأم من كلمات و تفكيرها السخي في ما جلبته من مأكولات و مشروبات و مسليات مع المقرمشات كل هذا من أجل ست البنات جميلة الجميلات قليلة الحظ في ما مضى و فات.

العميد أشرف أراد إعادة تلقين الحاجة كوثر أخت زوجته ما سبق له أن أفاض و استفاض معها بشأنه قبل تناولها الغذاء مع أسرته الكريمة، تحفزعندما وجدتها تستعد للرحيل و قال :

- بقولك يا حاجة كوثر ما تيجي حضرتك نشرب قهوتنا مع بعض من إيد فوفا حبيبتنا في الصالون، فهمت كوثر وقالت:

- اتفضل يا باشا ده شرف ليا.

دخلا سويا و قدمها عليه في الدخول، ثم انتظرها حتى تجلس ، جلس أمامها و قال :

- أرجوكي الأمر خطير عليكي و ع البلد، إن علي جه استقبليه عادي كالعادة، و وبخيه و اعملي زعلانة عادي من أنه تجاهلك ، لا تراقبي تصرفاته سبيه يتصرف براحته، أي إجابة كذب أو صدق منه ابلعيها بس احفظيها لوقتها، خلي أعصابك هادية قدر إمكانك، و إنتي بطبيعتك ادخلي الحمام و اكتبي لي رسالة على التليفون، رسالة بسيطة زي ما اتفقنا عليها، بعدها تعطيله بالراحة ع الأقل نص ساعة.

و أوعدك ماحدش هيأذيه أبدًا بس يكون عاقل أي حاجة هاتبقى معاه ما تحاوليش تفتحيها ده ممكن يبقى خطر جداً عليكي وعلى اللي حواليكي في السكن، و أوعدك تاني إنه هايتعامل معاملة محترمة و أتمنى يتعاون معانا و إحنا هنوفر له العدالة المطلوبة لأن مشكلته مش معانا ، مشكلته مع بلد بحالها و ناسها، لو أي استفسار منك تحت أمرك، أشوفك بخير و

اطمني، هانكون جنبك دايمًا بطريقتنا، ربنا معانا و معاكي و مع بلدنا الطيبة اللي ربنا هايحفظها غصب عن الجميع.

لقاء الأصفر و الأحمر الأول ينم عن الغيرة كما يقال و بالفعل ناجي رجل شرقي غيور الطبع وهذا كان ضمن فشله الذريع في حبه السابق الرفيع، و الثاني ينم عن لهيب العواطف الكامن داخل جوارح آمال شأنها شأن امرأة ماعرفت عن الرجال الكثير، لكنها تأمل زوج منهم يعوضها سنين عمر مضت بلا وليف، فاهتزت داخلها مزيد من الأشواق و أكوام الحنين.

بدأ ناجي بالسلام على الأم بحرارة الابن الذي غابت ملامح أمه عنه طويلاً، فلما التقى بها بعد طول غياب أخذ يتفحص ملامحها و يكرر علي لسانه كلمة " ماما " ليدرك أنها أمامه حقيقة و واقع، قال لها :

- إزيك يا ماما، اسمحي أقولك ماما، و اسمحي لي أقولك وحشاني.

تسمرت الأم و ابنتها مع أثر كلماته و قالت له و هي تربت على كتفه :

- ربنا يخليك ليا و يحفظك يا ابني لشبابك، و الله و أنت بتقولها حاسة إنها من قلبك الطيب، دي بقى آمال اللي تشوفها من بعيد ها ها ها.

نظرة سابحة من ناجي جعلته صامتًا ثم تنحنح و قال :

- أهلا يا آمال، ما شاء الله عليكي، كده فهمت إن جو الشارع فيه شبورة و ضباب يحجبوا الرؤية ها ها ها.

ضحكة كلها حياء الصائمة رغم أنفها عن سماع الغزل و الآن سمعته بعد اشتياق، عدلت من الفستان بحركةٍ لا إرادية ثم قالت له بنعومة تزيد من أنوثتها :

- على كده يا ناجي المفروض أخاف من كلامك الحلو ده، و أنك مجامل ، يا خوفي إنك تقول قولت الكلام ده، لكل واحدة قابلتها و.....

يقاطعها ناجي بإشارة من يده و يقول :

- هاكون صريح معاكي يا آمال أنا فعلاً عرفت بنات و كنت متخيل إن فيه بيننا حب و كده، كل ما أكبر أفهم اني كنت باهرج، حب إيه ده اللي اسميه كده و هو مرّة تلات أيّام و مرّة أسبوع، ده كان وهم.

نظر إلى الأم و أردف قائلاً :

- سامحيني يا أمي بكلامي الصريح ده مع آمال لإن دي طبيعتي و اللي ودتني في داهية كتير، مصيبتي اللي في قلبي على لساني بدون تزويق، أخويا بيقول عليا مدب، و أصحابي ساعات يقولوا لي فوق يا ناجي، و اعمل شوية كنترول على اللي جواك عشان تعرف تعيش.

الأم ترد بإعجاب شديد و يزداد الأمان منه فقالت:

- يا ابني يا حبيبي خليك زي ما أنت، الناس عشان بوشين ماتحبش اللي بوش واحد.

قالت آمال كمن تريد لفت انتباهه :

- إنت عارف يا ناجى، أنا بالظبط، هو انت برج إيه؟

- العذراء

بفرحة شديدة قالت آمال :

- يا نهار أبيض أهو كده إحنا برج واحد، و أنا كده فهمت.
- فهمتي إيه ؟
خجل مع النظر بعيداً:
- فهمت اللي فهمته، بعدين أقولك يا ناجي.
أرادت الأم الإفصاح عن هدف اللقاء حتى لا يطمع ناجي في ابنتها و ينظر إليها نظرة معيبة فقالت في هدوء و صدق بالغ :
- شوف يا ناجي يا ابني فيه مثل بيقول " اخطب لبنتك و ما تخطبش لابنك "؛ و ده اللي أنا بعمله دلوقتي و أنا راضية بخصوص بنتي الوحيدة، عشان كده بقولك من فضلك إوعى تبص للموقف اللي إحنا فيه ده بشكل وحش ان انا بخلي بنتي رخيصة في نظرك، بنتي غالية و هتفضل غالية عندي و عند نفسها حتي لو مافيش نصيب لها تتجوز، إحساسي كأم عاشت حياة طويلة و عارفة ربنا و كنت زوجة مثالية فى عين جوزها و كل أهله، لذلك كانت نظرتي ليك إنك تستاهل الجوهرة دي اللي ربتها على إيدي، إيد أم حسين الطاهرة، و بصراحة و فِي الدوغري شاورعقلك إن رغبت تتزوج بنتي و الله انت كسبان و إن مارغبتش لا انت خسران و لا إحنا، ساعتها النصيب غلاب، لا إحنا يا ابني بنطمع في حد ولا نخلي حد يطمع فينا، ده اللي عندي و فكر فيه وربنا يكتب الخير للناس كلها واحنا منهم.
تتدخل آمال بسذاجة و تسأله :
- بصراحة كده يا ناجي فيه حد في حياتك ؟
- هاقولك يا آمال و الكلام لماما، أقسم بالله أنتم في نظري أهلي اللي أفتخر بيهم و أحبهم و أخاف عليهم، أنا نفسي ماعرفش

السبب غير ده إحساس و الله منتهى الصدق و الإخلاص، أنتم بالقعدة دي رجعتوا لي ثقتي في نفسي، كنت فقدت الأمل في الارتباط بحد أو واحدة كويسة و بنت ناس ممكن ترضى بيا.

ثم أردف :

- أنا صحيح مدب، و مااعرفش أتكلم لكن حسّيت بأمي و أختي بعد كده حسّيت بأُمي و إنسانة اتمناها، برضه خلونا نتعرف على بعض أكتر،أكيد هتشوفوا عيوبي المنيلة، ساعتها إن رفضتوني، كواحد منكم، مش هاسيبكم أبدا و هابص لكم أم و أخت و أتشرف بده، أنا أُمي كل يوم بتوحشني ؛ يبقى لما الاقيها معقول اسيبها ؟

دمعة قفزت من عينيه رغم عنه؛ ثم أكمل كلامه في نحيب :

- كفايه بقى الله يخليكم، يللا أوقف لكم تاكسي يوصلكم البيت ، و أنا هامشي مع نفسي.

الفصل الثامن

سار ناجي من نهاية المدينة حيث موقع حديقة لقاء القلوب النقية على قدميه، و حتى المنطقة التي يسكن أحد منازلها في شارع كان من الممكن أن يكون شارع الحب، لولا نفوس خربة و عقولٍ جُمدّت حولته إلى شارع الغيبة و النميمة و مراقبة أحوال الناس لبعضها البعض ، فقد استباحوا أكل لحم أخيهم ميتًا و لم يكرهوا ذلك.

من يرى حالة ناجي و اضطراب خطواته و حديثه مع ذاته طيلة السير ثم خبط رأسه بكف يده كمن وصل لذروة لومه لها ، ظن و لا شك أن مكانه الطبيعي مستشفى الأمراض العقلية عنبر الخطرين، قام بتعنيف نفسه والدق على رأسه المستديرة بواسطة دقماق خشبي خيالي بلا هوادة من خلال بعض أسئلة الإجابة فيها كلها " يا خيبتك يا ناجي " مثل كيف تركتهم في النهاية و هم من أكرموا ضيافتك بطريقة بدوت فيها قليل الذوق و، كيف ببساطة فضحت نفسك و أظهرت عيوبك ببساطة مع أول لقاء تاركًا في عيونهم نظرات الشفقة و السخرية معا، كيف لا تبادر كباقي الرجال في الإفصاح عن إعجابك بفتاة " ضفرها برقبتك " ؟!، أحب أن ينتهي من وصف نفسه و سوء تصرفاته و النطاعة فيها فقال في نفسه:

- المتعوس متعوس و لو علقوا في قفاه فانوس، زمان أم آمال بتقول عليا " رضينا بالهم و الهم مش راضي بينا ".

علي غير هدي وجد نفسه أمام مقهى المنطقة المعروفة بقهوة الحاج " بوبوس " تستقبله عيون شلة العواجيز.

يجلس معهم جعفر " يوتيوب " يوزع نظراته للجميع ليلفت نظرهم لحديثه، جلس ناجي قريبًا منهم يسترق السمع كنوع من الهروب لما يشعر به من هوس لوم الذات، أخذ جعفر ميكرفون القعدة كعادته و قال بجدية شديدة:

- وأنا ماشي الفجرية بعربيتي الحمرا بسرعة بسيطة في المنطقة الفاضية اللي في آخر البلد؛ لمحت واحد بيجري و وراه عيال بتعيط لغاية ما دخل زقاق ضلمة و العيال وراه لسه بتعيط، ماخدتش في بالي لغاية ما وصلت الشارع التاني، لقيت العيال بتجري وأمهم بتنادي عليهم تعالوا يا ولاد خلصتكم منه و قطعته حتت، روحت مزود السرعة شويه لقيت الراجل واقف في نص الشارع قدام العربية يصرخ بأعلى صوته و يقول : الهبلة فاكرة إنها قطعتني؛ و قعد يلم في كل حتة من جسمه من على الأرض يحطها مكانها، دراعه يحطه جنبه، رأسه يحطها فوق رقبته، رجل من رجليه يركبها؛ مكانها لغاية ما بقى سليم و قعد يضحك.

- اقولكم الحق اترعبت مع إني طول عمري مابخفش و زودت السرعة ع الآخر و لبست في العمود اللي فوق الرصيف.

سأله أحدهم مستهزئاً بما سمع :

- طب على كده يا جعفر أنت مُت و الاّ لسه عايش؟!

فطن جعفر للقصد وراء السؤال و قال كأنه بروفيسور:

- نفسي بس نبقى متحضرين و نسمع بعض و نفكر بعقول مستوية مش نية في اللي، عشان كده انصحكم تدخلوا ع اليوتيوب و تكتبوا بس سكان الشوارع الخلفية بسْم الله الرحمن الرحيم العفاريت يعني.

عجوز آخر لم يعجبه توصيات جعفر و قال :

- إيه اللي بتقول ده يا جعفر عقول مستوية و نية ، حسستني بتكلم عن لحمة كندوز، ناقصك تتكلم عن الخضار اللي جنب اللحمة، هو أنت بسلامتك الشيف الشربيني ها ها ها.

سعدون المخضرم قال في هدوء الواثق :

- لا يا اخوانا ده الشيف حسن يا جمالو يا جمالو، كخخخخخخ

جعفر وقد وصل قمة غضبه:

- خلاص قسمتوا كلكم عليا مسلوق و، مافكرتوش إنه فعلاً فيه قوم غير البشر عايشين بيننا يأكلوا و يشربوا و يتدلعوا و يخلفوا، قليل لما حد يشوفها.

سؤال برئ من عجوز وجد نفسه الوحيد الذي لم يتداخل معه:

- متهيألي طلعلولك عشان عربيتك حمرا.

تطاول جعفر و تسرع بقوله :

- و انت الصادق مش هي اللي حمرا، هيئ هيئ هيئوو.

نظرة استياء من الجميع صوب جعفر، فهم و انتكست رأسه خجلا، قطع ضحكاتهم واستيائهم صبي المقهي الواقف منذ برهه و قال :

- متهيألي كفايه الكلام عن الجن و القرود، شوفوا بقى تشربو إيه يا حضرات.

حديث العواجيز و جعفر يوتيوب لم يكفي لإزالة و لو جزء من فوران ما يداخله تجاه نفسه المتعبة معه، قام من مقعده و تحرك نحو منزله ببطئ التائهين في أمورٍ جسام غير محددة في أذهانهم، بالطبع تلاحقه نظرات شلة العواجيز في ملبسه و أيضًا مشيته فقال سعدون ساخرًا:

- شايفين صاحبنا لابس أصفر النهارده وزمانه بيغني أغنية شريفة فاضل " أصفر ملك روحي " ها ها ها .

أضخمهم جسمًا يرتدي اليوم قميص كاروه جديد لابد أن يدلو بدلوه و قال :

- تخيلوا الأخ ده مش متجوز ؟ مع إن شكله قرب يطلع معاش و لابس بسلامته أصفر عشان يبان إنه " ننوس " بس على مين دا أنا من بصة واحدة اسننه باليوم و الشهر علي رأي حليم، ما تيجوا يا جماعة نخليه يقعد معانا المرّة الجاية و نشتغله طحن .

- طب ليه بس لايطلع صايع و يخلينا كفته، مايغركش السهتنه اللي هو فيها، ممكن يطلع مية من تحت تبن و يفضحنا ع القهوة فضيحة اليوتيوب بتاعت جعفر.. قهقهه بصوت عالي مختلط بسعال بصوت أعلى.

داخل بيت أم حسين و آمال بعد تبادل نظرات تحتاج إلى حوار واستفسار بشأن ناجي حديثاً و سلوكًا، سألت أمال أمها في تحفظ :

- إيه رأيك يا ماما في ناجي ؟

الأم مندفعة :

- على نياته يا بنتي.

- يعني إيه يا ماما، عبيط يعني ؟
- عبيط إيه بس يا هبله، ده بيرمي اللي جواه بشكله، لا يعرف يلف و يدور و لا يتلائم زي، اللي يجي على رأسه يلقحه و رزقه على ربه.

ما زالت آمال تريد فهم المزيد و مدى رضا أمها عن شخصية ناجي :

- يعني راجل كويس و الاّ مش كويس ؟
- يا بنتي ده راجل زي الفل، اللي فيه ده مش عيب ، العيب في اللي يسمعه لو نيته مش حلوة، اللي زي ناجي ده قلبه لسه أخضر الحياة ماقدرتش تخليه بجح و نطع زي معظم الرجاله ، كمان شوفت إنه بيبص لك من تحت لتحت و هو فرحان و مكسوف.

آمال في انشراح :

- انا لاحظت كده يا ماما كذا مرة، رأيي فيه ماتغيرش من أول مرة شوفته فيها، و هو جايب العفش بتاعه وبيطلعه شقة علاء الراجل القلق اللي شارب نشا، وهو ماشي رافع رأسه و مشدد رقبته و عايش في الدور أنه مأمور القسم اللي قدامنا أو رئيس جمهورية المزاريطة ها ها هاااا، استغفر الله العظيم منه و من ذنبه، سامحني يا رب.
- و الله يا بنتي ناجي صعبان عليا قوي إنه بيتعامل مع الجدع المانجه ده، أنا عارفه طالع لمين؟، أبوه الله يرحمه لسه فاكراه كان راجل محترم ملو هدومه مايعرفش العيبة و مؤدب أدب مافيش بعده و.....

تقاطعها آمال باعتذار و خجل و قالت :

- على كده يا ماما لو فيه نصيب و ارتبطنا، ترضي أعيش معاه في شقته في عمارة الدياسطي ؟
- بعد الشر عليكي يا، ده راجل مايعرفش حرمة البيوت، شوفته كتير واقف في البلكونة يبص ناحيتنا وعينه ضاربه في بيتنا كله، كنت ادخل و اقفل شيش البلكونه في وشه وهو عامل عبيط مش فاهم، إنتي يا حبيبتي مش هاتسبيني أبدا، البيت ده بتاعك كفايه إن أخوكي حسين خرج ولّم يعد.
- إنتي في عينيا يا روح قلبي، ربنا يقرب البعيد.

تذكر ناجي أن هناك حالة وفاة في العمارة التي تبعد عن مسكنه خطوات قليلة في نفس الشارع، و لما كان زوج المرحومة من رواد المسجد فقد استفاض وأفاض فضيلة الإمام عقب صلاة المغرب، أخذ يصف ما حدث للمرأة الراحلة و كيف ماتت و ماذا قالت لزوجها الوفي المكلوم و المصدوم قبيل وفاتها بلحظات، كان وصفه للحظة الموت غريب على مسامع ناجي خاصة أنه كان يصفها بالتقوى و الورع و أنها ماتت على يد الزوج المخلص و المؤمن بالقدر و لولا أن الإنتحار حراماً ما تركها الزوج تدفن وحدها لتتركه وحيداً يعيش على ذكراها العطرة.

توجه ناجي حيث بعض المقاعد فوق الرصيف المقابل لمنزل المرحومة يجلس عليها رجلين فالوقت قد تأخر، دخل عليهما و قال :
- البقاء لله، ربنا يصبركم .
رد الرجلان عزاء ناجي و قال أحدهما :

- الحاج محيي أبو ستيت جاي عشان تعزّيه، هو بياكل لقمه بس ع السريع.

تذكر ناجي ذات مرة كلام فاروق النجار عن عائلة أبو ستيت؛ و الرجال فيها طائعين؛ غير مجادلين لزوجاتهم؛ بل و يفتخرون، سمعتهم ملأت الشارع بطيب قلوبهم المرغمة على السمع و الطاعة، و كم من الخناقات دبّت لحظة رجل منهم تملكته شجاعة الاعتراض و قال لا، بعدها يندم ندم العاصيين المندفعين بالزوجة كان من المستفزين.

أراد ناجي الاستئذان مقتنعًا أن هذا الأرمل لا يستحق ضياع وقته في واجب العزاء، سوء حظه وصول الحاج محيي إليه مرحبًا به بحرارة و قال:

- أنا عارفك أنت جارنا في عمارة الدياسطي و قاعد لوحدك و بتشتغل في التموين و بشوفك على قهوة الحاج بوبوس ساعات و أنا رايح السوق، لأني الحقيقة مابحبش أقعد ع القهوة، على كده أنت مأجر الشقة و الاّ اشتريتها من علاء ؟

دارت رأس ناجي و ازدادت مشاعر الخنقة التي كان عليها و قال في برود:

- ربنا يرحمها و يحسن إليها، أكيد أثرت في حضرتك بوفاتها ، إيه الأخبار؟

- أنا بعد ما رجعت من صلاة العصر، كان من عادتها تستناني في البلكونه علشان تطمّن عليا لغاية ما أطلع الشقة، المرّة دي مالقتهاش واقفة، قلقت عليها و لما طلعت لقيتها نايمة ع السرير و ماسكة صدرها، قلت لها مالك؟

قالت لي تعبانة شوية أطلب لي إسعاف يوديني المستشفى، على ما طلبت الإسعاف كانت ماتت، الحمد لله.

قال : ماتت، و هو يمصمص بقايا الأكل العالقة بين أسنانه ثم طردها خارج فمه بطريقة مقززة.

ناجي قام بكرمشة وجهه مع سقوط أذنيه لأسفل و بصوت حزين:

- شد حيلك يا حاج محيي، و إحنا جيران في أي حاجة تطلبها .

- الله يجازيك الخير، بس ماقولتليش شقتك إيجار و الاّ تمليك ؟ عشان ناس كتير سألتني.

إدعاء الهبل و العبط ملأ وجه ناجي المفضوح حين التعبير و قال :

- سيبها لله يا حاج محيي كله محصّل بعضه ، كلنا هانموت و شد حيلك ، سلامو عليكم.

رد الحاج محيي كاظمًا غيظه و قال :

- الشدة على الله، هاشوفك في الجامع.

تحرك ناجي متباطئًا في السير المعتاد في حين انشغال رأسه المبروم بما يفوق طاقته المحدودة، اختلس نظرة لأعلى صوب شرفة منزل آمال وجدها خالية منها كما تعود منها انتظاره، انتابته مشاعر القلق؛ و فهم أن قرارها أنه لا يليق بها، و عليه أن يستمر في قتل مشاعره نحو الجنس الناعم، رحب مجدداً باللاأمل و مرحبًا بالعزوبية و ما فيها، و عليه تجديد نشاطه في صفحات الفيسبوك نوع من التخفيف الساذج المبني على عدم المواجهة و إخفاء الحقائق.

دخل منزله حزينًا إلى حدٍ كبيرٍ و خرج إلي البلكونة لعل آمال تكون قد غيرت رأيها فيه و تتبعه من شرفتها كسابق عهدها.

جال بنظره في جنبات الشارع، فوجد الكلبة الشقراء بصحبة كلبٍ أسود عجوز لم يراه من قبل فأخذ يدقق في علاقته بالشقراء كلبة الشارع العرجاء المدللة، شاهد ألفةً سرعان ما دبت بينهما، شاهد دلالاً و تحفظًا ما من الذكر تجاه أنثي الشارع الوحيدة الناجية من مذبحة الكلاب التي قادها كمال الدمياطي قاسي القلب و الذي ما عرف للمسجد طريقًا إلا للنوم.

محاولات أغراء أنثي الكلب الشقراء للذكر الأسود جعلته متفهمًا موقفها، فليس لها خيار بعدما خلا الشارع من ألوان الذكور المختلفة و أعمارهم الأقل، بدت له قناعتها و اكتفائها بالخبرة ربما تعوضها خيرًا عن شباب الكلاب الذين أصبحوا ذبائحًا في ثلاجة سفينة متجهة إلى الفلبين، و قبض الثمن فيهم رجل الشارع صاحب أجمل عمارة فيه.

ظل ناجي يرقب ما تم بين الشقراء و الأسود، و قد دار في رأسه أسئلة يخشى أن يفصح عنها لأحد مهما كانت قوة العلاقة بينهما و المؤكد أن إجابة الأسئلة ستكون : تصور أنت فعلاً كلب.

ألقي نظرة على أول الشارع، فلمح أم سماح الإسكندرانية ساكنة البدروم الذي به ورشة فاروق النجار و التي نجحت في

التآلف مع سكان الشارع أجمعين، برغم أنها حديثة العهد بهم إلا أنها تفوقت عليهم بمهاراتها الخاصة المتفردة.

لمحها تتبختر متكئة على عكازها المتين الذي يستند عليه جسم يقترب نحو الطن وزنًا و المترامي حدودًا و بعدًا، صوت عكازها صرخات أسفلت تتعرج استقامته بالغوص لأسفل حين الضغط عليه بلا هوادة، تقترب من مسكنها الصامد و القائم أمام عمارة علاء الساكن فيها ناجي، جالت بنظراتٍ ثاقبةٍ أرجاء الشارع النائم.

ما أن رأت الكلب الأسود يداعب كلبة الشارع الشقراء العرجاء تحركت نحوهما بهدوءٍ و تركيز، ثم رفعت عكازها و نزلت به بكل قوتها تحمسها صرختها على الكلب الأسود الذي حاول أن يتفادى ضربتها، فأصيب بقدمه اليسرى و أخذ يعرج محاولاً فرار المصاب حين غفلته مع صرخات ممزوجة بصرخات أنثي أصيب وليفها ليلة زفافها، تحركت الشقراء نحو الأسود تهرول بجواره يعرجان سويا.

برغم الألم الذي اخترق مشاعر ناجي إلا أنه استمر يراقب المشهد و الإيذاء النفس يتملكه، وجد أن شقراء الشارع قديمة النشأة تهمس في أذن القادم الغريب عليه، فتخيل قولها له مواسية:

- سامحني يا عزيزي الأسمر نسيت أن اقول لك هكذا يتعاملون هنا مع الغرباء، يللا بينا على شارعك القديم يمكن نلاقي فيه قلوب تحضن قلوبنا اللي جفت من عمايل البشر.

ابتسم الغريب الأسود يرد على الشقراء الحزينة:

- ماتزعليش يا حبيبة الأسمر، الغدر في طبعهم مخزون ما ينتهيش، شوفتي الولية السيد قشطه عملت فيا ايه؟! وقال اسمها أم سماح، يا وليفتي اللي تاعب نفسيتي إنهم لما ييجوا يشتموا حد فيهم خنقهم، يقولوا له يا كلب أو يا ابن ستين كلب ، على كده إحنا نسميهم إيه ؟

يشعر ناجي بشعور شبه مؤكد بإصابته بالجنون، أو على الأقل الهبل الأوغندي من جراء تخيلات خياله الخصب مع عالم الكلاب و ما بينها من مشاعر افتقدها وقت الحنين، أوعز لنفسه أن السبب يعود لفشله في فرصة أعطتها له آمال و أمها قلما تتكرر، أراد أن يخفف تأنيبه لذاته الغارق فيها فتذكر فيلم لنجيب الريحاني و هو يقول:

أنا كده... حظي كده.. المصايب تسيب الناس كلها و تيجي تدور عليا.

ابتسم ابتسامة بلهاء ثم قال " اللي جاي أحسن بإذن الله " و أجاب على الفور " إمتى بس ؟".

الفصل التاسع

الغش و الخداع و الكذب قد يصنعون أمانا مؤقتا لمن رأي فيهم بل و اختارهم كأسلوب حياة، لن يطول وقت المنافق هذا و تنكشف حقيقته مهما توارى و تخفى وراء أقنعته الزائفة والتي اختارها درعًا لما في داخله.

الشيخ علي البهتيمي، و يا حسرة على لقب الشيخ هذا اللقب الذي تقلده رجالٌ آمنوا بربهم فزادهم ربهم هدى و صلاح، في جنح الليل يسير متسللاً بعد منتصف الليل حاملاً في يده حقيبة سفر ثقيلة لا تتناسب مع قوة بدنه الذي بدأ يخور مع التقدم الطبيعي في العمر، يبدو أنه قد ترك مفاتيح باب منزله في مكان ما، لذا قام بدق جرس الباب ضغطة الخائف أو الحذر، طوال فترة غيابه لم تذق للنوم طعماً، زوجته الحاجة كوثر و ازداد هروب النوم من جفنيها بعد لقاء زوج أختها سيادة العميد أشرف، في صوت المرعوب قالت:

- مين ؟ مين ع الباب.

رد الشيخ علي بصوتٍ خافتٍ و خائف :

- افتحي يا كوثر أنا الشيخ علي.

فرحت مع شعورها بأمل براءته مما نُسب إليه و ما سمعته عنه، قالت بعدما فتحت الباب :

- حمد الله على سلامتك، كنت فين يا أخويا الوقت ده كله، ينفع اللي بتعمله فيا ده و فِي أعصابي و.....

يقاطعها بحزم :

- إوعي بس من سكتي دلوقتي، نتكلم جوه يا كوثر، آخد نفسي بس الله يهديكي.

دفع الحقيبة أمامه حتى آخر غرفة نومه دون أن ينطق حرفًا، كان بيده حقيبة يد صغيرة وضعها في الأنتريه، ثم ألقى بجسده المتعب على أقرب مقعد أمام الحاجة كوثر التي تراقبه عيناها بصمتٍ و حيرةٍ، سألته نفس السؤال السابق لكن بصيغةٍ مختلفة :

- قلقت عليك يا علي صدقني، و اللي زود قلقلي إنك ما بتردش على التليفونات، دا أنا كنت باتصل عليك كل نص ساعة، يعني ما فضتش مرّة ترد عليا؟!، هو يعني الشغل كان مقطع بعضه ، و الله واخده على خاطري منك يا علي و .....

يعلو صوته و بحزم قال :

- ابلعي ريقك بقى يا كوثر، أكيد كنت مشغول و أنا حاليًا ربنا أعلم بحالي و نفسي أدخل استحمى عشان أفوق شوية ، تعالي بس ساعديني اقلع الجزمة و الشراب و هاتيلي طبق فيه مية دافية و ملح و شوية خل ، و هاتيلي الريموت افتح التليفزيون، و يللا بسرعة هاتي اللي قلت لك عليه و حضري لي الغدا.

عادت مسرعة تحمل المطلوب وجدته يشاهد نشرة الأخبار و الوجه منشرح، في حين أنها سمعت في النشرة خبرًا حزينًا فقالت :

- منهم لله الظلمة يا حرام شاب زي الظابط ده ذنبه إيه عشان يموت و هو بيفك عبوة ناسفة قدام جامعة القاهرة، يا كبد أمك يا ابني كنت بتفكها عشان الناس ماتموتش قوم أنت اللي تموت ؟!، يا ترى أمك و مراتك عاملين إيه دلوقتي؟ ربنا يكون في عونهم.

انفعل الشيخ علي عليها و كاد أن يصرخ فيها:

- كفاية عبط بقى، هما اللي بيجيبوه لنفسهم، و ذنب ناس قتلوها من غير ما عملوا حاجة إيه برضه ؟

بدأت رأس الحاجة كوثر تدور و تقترب من صورة زوجها الحقيقية التي نجح سنوات طويلة في إخفائها بقناع التقوى و الدروشة، و المتسترة خلفها نفسٌ مظلمة تجاه وطن و من عليه من مواطنين، تماسكت حسب التعليمات ثم قالت بحذر:

- و الله يا حاج أنا رأيي إن دول ولاد ناس مصريين زينا ، و يعرفوا ربنا يمكن أحسن مننا، ده لو حتى كفرة ربنا مايرضاش بقتلهم، نقتلهم يعني و نحلل قتلهم عشان وظيفتهم إنهم في الشرطة ؟!.

ازداد وجه الشيخ عبوسًا و قال :

- ما شاء الله يا كوثر بقيتي تقعدي و تجادلي و تناطحيني، هي المعزة بقت تعلم أمها الرعية؟! و الا عشان أختك جوزها في الشرطة صعبانين عليكي اللي بيتقتل منهم و لما يقتلوا الناس يبقوا هما الملايكة، و هانروح بعيد ليه أديكي بتسمعي طول الليل في القسم اللي قدامنا صراخ الناس و صويتهم من الضرب اللي نازل عليهم طول الليل، فوقي بقى من الوهم اللي بيقولوه في التلفزيون و الجرايد يا حاجة.

بدت الصورة تقترب لذهن كوثر أكثر، فقالت في تعجب :
- دا حتي يا حاج ولاد الحرام دول حطوا إمبارح قنبلة تحت عمود كهربا و فجروه، هو كان عمود الكهربا ده عدوهم؟! الخسارة دي إحنا اللي بنخسرها مش حد تاني يعني برضه إحنا عدوينهم مش الشرطة و لا الجيش بس و .....
يقاطعها بعصبيةٍ شديدةٍ برغم منطقية ما قالت، فقال لها وهو يلوح بيده :
- أنا هاقوم استحمى و اسيبك تخرفي مع نفسك، الحمام جاهز ؟
- أخرّف ؟ ربنا يسامحك يا علي، الحمام جاهز يا سيدنا الشيخ .
- بتتريقي عليا يا كوثر؟
- ماتخدش في بالك واحدة بتخرف.
- أووف يا رب قرب البعيد.
سار نحو الحمّام يشير بيديه نحو اللاموجود محدثًا نفسه.

تحركت الحاجة كوثر بهدوءٍ لغرفة النوم بعد تأكدها من صوت إغلاق الحمّام فحصت بعد تردد محتويات حقيبة اليد الخاصة بزوجها الشيخ علي وجدت طبنجة ملفوفة بقطعة قماش سوداء اللون، تركت كل المحتويات كما كانت قبل فتح الحقيبة ، بعد حسرةٍ ألمت بها ما شعرت بها من قبل طيلة حياتها، تذكرت كلام العميد أشرف زوج وفاء شقيقتها الصغرى و وصيته لها أن تتماسك حتى لا تتعرض للخطر المتوقع، تمالكت أعصابها و طلبت عون الله لها في أزمتها، و كتبت رسالة متفق عليها مع العميد أشرف مجرد أن يتسلّمها يعرف أن الشيخ علي بالمنزل و معه سلاح أو لفافة أو حقيبة و ما شابه ذلك.

اجتماع أمني على وجه السرعة تواجد فيه العميد أشرف، برغم عدم اختصاصه في هذه المهمة، لكن وجوده ضروري كمصدر للمعلومات عن المنطقة السكنية خلف قسم الشرطة و العمارة التي يقطن فيها الهدف المطلوب مباغتته و القبض عليه بشكلٍ آمن، حتى لا يصاب فيه أحد من السكان الآمنين، مع وضع الاحتياطات اللازمة إذا فكر بطريقة متهورة و تصدّى لهم خاصة أن رسالة الحاجة كوثر تفيد بتأكدها أن الشيخ علي يحمل سلاحًا ناريًا، تم توزيع الأدوار على القوة التي قامت بالمهمة مع تحذيرات قائدها لجميع المشاركين بعدم استخدام طلقات نارية و الاشتباك إلا بعد تلقي أمر مباشر و صريح بذلك، و تحرك الجميع بمشاعر اليقين في نجاح المهمة رغم صعوبتها.

بعد انتهاء الشيخ علي من الاستحمام تحرك نحو غرفة نومه ألقى نظرةً طويلةً متأنيةً نحو حقيبة السفر و اليد و اطمئن أنهما لم يمسا، توجه حيث مائدة الطعام الذي أعدتها بعناية كالمعتاد زوجته المغلوبة على أمرها منذ أكثر من ربع قرن و سبب ضعفها الذي جعلها على هذا النحو المسيّرة فيه عدم إنجابها و هذا أمر الله، و لا حيلة للبشر فيه، أخذ الشيخ على يقذف ما وضع أمامه من طعامٍ شهي غير مبال بالهضم، فالفكر شارد في أمور جسام لا يعلمها غيره.

بدأت محاولة تعطيل الشيخ على بواسطة زوجته كوثر التي فضلت التعاون مع الضابط أشرف، و تنفيذ تعليماته بكل دقة ، الأمر بالنسبة لها حرصًا على وطنٍ، ببساطة شديدة تحبه و تريده أفضل أماكن الدنيا، و أن تساعد من وضع الله أمانة

الأرواح التي تراها تُزهق يومياً في أعناقهم، لذا حاولت صنع أحاديث مختلفة و مختلقة و قالت:

- و الله زمان يا شيخ علي، أهو كده يا أخويا نورت بيتك، أنا كنت قاعدة لوحدي الليلتين اللي فاتوا مرعوبة و خايفه من أي صوت ع السلم و أقعد أتابعه لغاية ما يطلع فوق أو ينزل تحت، بس ربك و الحق كانت روحك دايمًا في البيت.

ينظر إليها الشيخ نظرةً طويلةً توحي لها أنه لا يريد سماع المزيد و عليها التزام الصمت، إلا أنها أردفت تقول :

- ما شاء الله الزغاليل اللي في البلكونة كبرت و بقت طالبة بقك محشية بالفريك من إيدي و أقولك بالهنا على قلبك.

لمحت جحوظ عينيه استعداداً لكلامٍ سيصدر منه لن يرضيها سماعه، قامت قائلة :

- أقوم أعملك الشاي و أجيبلك الفاكهة اللي مقطعاها و جاهزة، عايز حاجة أجيبهالك م المطبخ تاني ؟

بتأفف رد الشيخ :

- لا يا ستي متشكر، يللا بس بسرعة انجزي لأني ورايا مشوار ضروري هانزله و ارجع.

- بالسلامة يا أخويا، أنا رايحه أهو.

دخلت المطبخ و القلق يزداد و قلبها يدق بعنف، بدأ الخوف يتملك منها سواء حين القبض عليه أو هروبه قبل وصول الشرطة، لا تعرف أيهما أقوي خوفاً على نفسها و مشاعرها، أعدت ما قالت له عليه من فاكهة و كوب شاي تعمدت أن تملؤه عن آخره لضياع الوقت الذي تمر فيه الثانية أعوامًا ثقيلة و أقبلت ووجهها حزين و قالت:

- إنت عارف مرات الحاج محيي أبو ستيت جارتنا اللي في نهاية الشارع ماتت النهارده يا عيني، فجأة من غير تعب، الله يرحمها و يحسن إليها، سمعت بس لكن ماروحتش العزا إلا ما تيجي و نروح سوا نجبر بخاطرهم و نعزيهم.

يرد شارد الذهن :

- آه آه ان شاء الله، واجب برضه الله يرحمها، ثم قام يرتدي ملابسه دون النظر إليها و لا الاهتمام بحديثها.

قضت آمال ساعات قبل منتصف الليل، و عندما بدأ الليل الطويل انحساره مولياً دبره ولى معه الأمل في تعلّق ناجي بها أو حتى انجذابه نحوها ظنًا منها أنه إذا تلهف على سماع صوتها يكون القلب دق مناديًا و هاتفها يتبعه دقًا، وقتها اللسان ينطلق بأحلى الكلام.

لماذا لم يكلف خاطره هذا الذي يسكن أمامها أن يقول لها كلمة شكرٍ قصيرةٍ ترطب بها ذاتها التي جفت سنوات منتظرة ماء حبٍ جارٍ يروي أغصانها قبلما تذبل و تتساقط من علٍ خاوية دون ثمار، فكيف للثمار أن ترى نور الشمس دونما تلقيح الشجرة التي كادت أن تميل و لن تستقيم بعدها إلا بمن أتى بالطبع ساعيًا و بالحلال ليغرس لقاحه بمباركة رب الشمس الشاهدة و الأرض الحاملة فيما بعد فوق ظهرها نتاجا يمشون في مناكبها، توجعت آمال بعد تفكيرها فعمدت قاصدة نبع الحنان و قالت:

- شوفتي ناجي يا ماما و لا على باله أنه قابلني من أصله، ولا قعدنا مع بعض، ولا حتى سمع منك الكلام الصريح إن هدف

القعدة معاه الارتباط إن عجبته، كان متخيل بسلامته أن أكون واقفة مستنياه في البلكونة أتابعه لغاية ما يدخل شقته و أتصل عليه و اطمن إنه بخير، متهيألي أنا غلطت في اللي عملته لأنه شافني ملقحه نفسي عليه.

قالت الأم بصوتٍ مهزومٍ يشبه البكاء :

- ارحمي نفسك يا بنتي شويه و اقعدي، و اتأكدي إن لو نصيبك فيه هاتخديه و تتهني، ولو لا سمح الله مالكيش نصيب فيه مهما عملتي مش ليكي، و يكون ربنا كتبلك الخير من غيره.

- يا ماما اللي تاعبني إنه مش فاهم إزاي يتعامل معايا كبنت عايزاه و قالت ده بشكل باين و مكشوف بدون كسوف و هو ما قدرش ده، هو كان عايزني زي البنات أقعد ألف و أدور عليه لغاية ما يقع في حبي و بعدين يشوف وش تاني كله شروط و أخد اللي عايزاه منه و هو مبسوط.

- أقولك حاجه يا آمال و بكره تقولى ماما قالت، الجدع ده خام أكتر من البنت البنوت، مش فاهم أصلا إزاي يعبر عن اللي جواه و مشاعره عامل زي الراجل الفلاح اللي ماخرجش من أرضهم و سافر مصر و قابل واحدة حلوة معجبة بيه غير أمه و أخته و قعد فاتح بقه كام شهر قدامها لغاية ما حضر فرحها على عريس غيره و شاف عيالها و هو لسه فاتح بوقه.

علت وجه آمال ابتسامة بددت بعض ما ألم بها من حزن و قالت :

- طب بذمتك يا ماما و من غير مجاملة، انا كنت حلوة فعلا ؟

بطلاقة دون تفكير قلب الأم قال على لسانها:

- كنتي زي القمر و الله يا أمولتي، اللون الأحمر كان عليكي بيتنطط من فرحته إنك لبستيه، تخيلي بقى أنا أول مرّة أشوفك بالحلاوة دي.
- ربنا يجبر بخاطرك و يديكى الصحه، هو أنا آجي إيه جنب جمالك و حلاوتك، يكونش الجدع ده اللي هايجنني عينه عليكي و مش واخد باله مني أصلاً ها ها هاااااا.
- هيئ هيئ هيئ يقطعك يا آمال ضحكتيني وزحتي الهم اللي على قلبي، ده يبقى اتعمى في عينيه و مخه مع بعض، صدقيني يا بنتي ده متدهول علي عينه مش أكتر، و مش الراجل المطقطق و الناصح اللي يستغل فرصة إن بنت حلوة و بنت ناس زيك ريداه، تصدقي يا بنتي ابتديت أخاف عليه زي حسين ابني إن تيجي واحده من الشارع تدخل عليه بالحنجل و المنجل و تكعبله يقع على بوزه مايقومش تاني.
- بعد الشر عليه يا ماما، ربنا يصلح حاله، شكله تعب قوي في حياته و عايز يرتاح و مش حمل كعبلة و لا بعترة، ربنا يسترها معاه و معانا.

الأم في تثاؤب :

- آمين يا رب، يلا حبيبتي ادخلي نامي و ارمي حمولك على رب الحمول.
- تصبحي على خير يا ماما.
- و إنتي من أهل الخير يا حبة قلب ماما.

قال حكيم :

عندما تبلغ الثامنة عشرة من العمر ستشعر بالقلق تجاه ما يعتقده الناس عنك، و عندما تبلغ الأربعين، لن تبالي بما يعتقدونه، و عندما تصل إلى الستين، ستكتشف أن لا أحد كان يفكر فيك من البداية، كانوا جميعهم مشغولين بأنفسهم، إلا أن ناجي اختصر كل هذه المراحل و اختزلها في المرحلة الأخيرة قبل أن يصل عمره إليها.

مازال يشغل بال ناجي ما حدث للكلبة شقراء الشارع و فاتنته العرجاء، مع إشفاق على الغريب الأسود الذي زار الشارع بجاذبية أنوثتها، غافلاً عما سيلقاه من " أم سماح " الإسكندرانية التي جعلته أعرجًا بضربة عكازها الذي يتحمل ثقلها الضخم و لا أحد يسمع أنين صرخاته المكتومة في كعب العكاز المصنوع من الكاوتشوك المطاطي المرن.

تابع ناجي خطوات أم سماح الثقيلة وهي تتحرك نحو منزلها بالدور الأرضي، و فهم من مشيتها أن النوم يناديها بعدما ألقت نظرةً طويلةً متفحصة الشارع و صمته من أوله حتى نهايته، أصابته سعادة عابرة، بخلودها إلى مرقدها متمنياً لها خلودًا أبديًا علي فعلتها بالأسود الغريب ضيف الشارع المغفل، لما اختفت عن عينيه قال في نفسه :

- نوم الظالم عبادة.

كانت آخر مفاجآت ليل الشارع أن الشقراء و الأسود عادا سويا يهرولان حتى استقرا تحت شرفته، دخل فأحضر لهما

طعامًا متنوعًا و ألقاه بجوارهما، تشكيلة مما حواه و ما تيسر في مطبخ خلا من المستحب لهما من لحوم و كانت قناعته الجود من الموجود، سعادته رؤية ضيف الشارع الأكحل يقدم شقراء الشارع عليه في افتتاح البوفيه الهابط لهما بمظلة حب من الدور الأول، حينها وجد نفسه في تصرفات هذا الكلب الأسود الكريم حين التعامل مع الناس، إلى أن تعلم و استوعب الدرس من رد أفعالهم تجاهه عند إكرامه لهم أن أكلوه بلا رحمة إنكارًا للجميل، و مع ذلك مستمر فيما يفعل و لا يعلم إلي أين يروح و إن راح فلن يعود.

مازالت الحاجة كوثر تتفنن في تعطيل الشيخ علي و إضاعة الوقت بكل الطرق المختلفة، فمتابعتها للوقت المار من زمن الشدة يظن أن ما مر منه يزيد قليلاً عن النصف ساعة، و هي المدة التي حددها لها العميد أشرف حتي يتم فيها تجهيزات ما لا تعلمها بالطبع، أرادت مع الرعب مزيداً من الوقت فقالت للشيخ علي:

- دلوقتي يا حاج انت جاهز و نازل و نسيت أقولك إن فلوس البيت شطبت و انت عارف مصاريف البيت في الغلا اللي البلد فيه، ربنا يفكها عليك وعلي الناس كلها.

رد الشيخ علي في امتعاض :

- هو الملام ما يحلاش معاكي إلا لما أكون نازل؟، حاضر يا ستي خدي.

أخرج بعض من المال بشكل عشوائي ثم وضعها على المنضدة، و قال هو مغتاظًا منها:

- حاجة تاني يا كوثر؟ لما اشوف أخرتها معاكي.

تحاول كوثر التماسك و عدم إظهارالرجفة التي أصابت كيانها بهواجس متزايدة :

- لا يا أخويا ربنا يوسع عليك، بس و رحمة أمك الغالية تقولي رقم تليفون أتصل عليك فيه لما احتاجك، و أوعدك مش هاتصل إلا في الشديد القوي، يعني ممكن تديني رقم التليفون الأرضي اللي أنت بتشتغل فيه يبقي كتر خيرك.

رد بانفعال شديد :

- مافيش تليفون زفت أرضي هناك، اهبطي بقي، يلا أشوفك بخير إن قدر لي أشوفك تاني.

ودعها بنظرة ما فهمت المعني منها ثم تحرك ببطءٍ حاملاً حقيبة السفر السوداء ناحية باب الشقة و نزل الدرج بهدوء دون إضاءة نور السلم كما تعوّد، قرآن الفجر يصدح بالمنزل من إذاعة القرآن الكريم، تحركت كوثر في هدوءٍ لا تعرف أي المشاعر تخترق جسدها المنهك و عقلها الذي توقف و أصبح خاويًا، تحركت لتتابع تحركه من خلال شرفة المنزل بجوار عشة الحمام الأبيض.

في لمح البصر انقض بعض الرجال عليه و طرحوه أرضًا و تم سحب الحقيبة أخذها ثلاثة أو أربعة منهم بعيداً ليتفحصوها و أيضاً حقيبة يده و اختفى الشيخ علي تحتهم و هم جاثمين عليه لشل حركته و لم تسمع قوة صوته الذي يصرخ فيهم :

- عايزين مني إيه يا ولاد الكلب يا سفاحين.

امتلأ الشارع بقوات في الزي الشرطي مع عربات مصفحة سدت منافذ الشارع من جميع جهاته، سمعت أصوات من أعلى سطح قسم الشرطة أمامها وجدت رجالاً مسلحين ما عرفت حصر لهم، الجلبة والضوضاء مع دبيب أقدام القوات أزعجت منازل كثيرة بالشارع كونه ضيق و بدأت النوافذ تُفتح مضطربة، حتى الحمام الأبيض النائم في سكينة داخل عشته ، وجد باب العشة مواربًا؛ فطار بعيداً عبر متردد مودعًا مكاناً شاهد فيه الغش و الكذب و خيانة الوطن، و ربما لا يعود لفترة قادمة يعلم الله مداها.

انفض الجميع بيسر و سرعة رهيبة و اختفى معهم الشيخ على إلي حيث اقتادوه لمكان لا يعلمه سواهم، بفرحة المنتصر و المنقذ انفضوا مهنئين قلوبهم بما فعلوا.

يعلن مؤذن المسجد أيا كان نوع صوته أذان صلاة فجر الله يلبي النداء أناس بعدها ينتظرون انبلاج الضياء ليستقبلوا بعدها شروق شمس الله آملين ألا تغيب ثانية بعدما غابت فارة من أفعال بعضهم.

دخلت كوثر منهارة باكية بمرارة؛ بعدما امتلأ الشارع عن بكرة أبيه بالقوات المدججة بالأسلحة الخفيفة؛ و هم على أهبة الاستعداد لأي غدر من الممكن أن يحدث، سكان الشارع يثرثرون و أيديهم تشير إلي منزلها الذي أهدي ألسنتهم نشاطًا و

حيوية و مادة خصبة للحديث، و تبادل المعلومات بينهم، مؤمنين أنها لا ترقى أبدا لمستوى الشائعات إطلاقًا، بل هو اليقين بعينه.

كوثر سلمت فكرها لطاحونة أدارت رحاها و صدر منها أصواتًا متداخلة كادت أن تفتك برأسها طيبة الفكر في الأساس و النشأة و أخذت تحدث نفسها:

- يعني أنا اللي سلمتك يا شيخ علي ؟ هانت علية العشرة ؟.. آه تهون و لا أشوف نتيجة عملك و اللي أنت تبعهم قتل و و حرق. ما بتفرقوش بين ست و عيل و كبير و صغير.. قلوبكم ماتت.. إيه اللي جرالك يا علي !!...كنت كويس و طيب.. يكونش عملوا لك غسيل مخ زي ما باسمع ؟.. برضه أنت كانت دماغك جزمة قديمه كل ما أقولك حرام تقولي هما المفتريين.. يعني أنت دلوقتي في القسم و هاسمع صوتك و هما نازلين فيك ضرب من غير رحمة و لا هيراعوا سنك و صحتك اللي بقت في النازل؟.. طب أعملك إيه دلوقتي يا علي.. يطلع النهار و أروح لأشرف جوز أختي أقوله يرحموك و يخففوا عنك زي ما وعدني .. عايزه ارتاح و اريح ضميري شويه..يا رب انت أعلم بحالي و غني عن سؤالي تدبر لي أمري..يارب انت المطلع على نوايا عبادك.. ثبت قلبي وعقلي يا كريم.. استغفر الله العظيم و لا حول ولا قوة إلا بك يا أكرم الأكرمين.. يا رب يا الله يا الله يا الله

ثم تنخرط في بكاء حار ونحيب يغمرها بينما صوت الطاحونة لا تتوقف.

الفصل العاشر

انتشر خبر القبض على ناجي كالنار في الهشيم ، أخذت تلوكه كل ألسنة أهل الشارع المنتظرين دومًا لتداول أحاديث الفضائح بكل متعةٍ، و تتفنن في الإضافة و الفبركة مع إدعاء معرفة الخبايا و بواطن الأمور، قادت نشر الخبر الست الطيبة قوي كما يصفها علاء الدياسطي مالك العمارة التي تقطن فيها بالدور الأرضي أسفل شقة ناجي المقبوض عليه، صوت أحذية جنود الشرطة الصاعدة و الهابطة على درج المنزل مما لفت انتباهها فاستيقظت، و ربما فرحت أن يكون لها السبق في إهداء أهل الشارع خبرًا طازجًا و هنيئا للسامعين وهم في غفلتهم يعمهون.

المحقق بقسم الشرطة كلما استمع لأقوال ناجي يزداد يقينًا و قناعةً بسطحية الشخصية، و أنه لا يعرف لعمق التفكير سبيلاً، لذا حاول زيادة التأكد مما وصل إليه، و زملائه فأرسل مستدعيًا كل من كمال الدمياطي و علاء الدياسطي و طلب من معاونيه استجوابهم، حتى يتبين له بوضوح هل هذا الشخص بالفعل طبيعته هكذا، أم أنه ممثلٌ جيدٌ و محترف للمراوغة.

أسفرت نتائج التحقيقات مع علاء الدياسطي عن إفادته بأن ناجي زير نساء من الطراز الأول، و أنه يتابع امرأة جميلة

طيبة جداً تسكن بمفردها، وأنه غير مستريح و منزعج لوجود البنزين بجوارالنار فربما إذا تركهما يشعلان نارًا لن تفلح قوات المطافئ مجتمعة في إخمادها، قدم توصياته للشرطة باعتباره رئيس اتحاد الملاك العام و القائم بأعمال الورثة سواء الفنية و الإدارية الخاصة بعمارة عائلة الدياسطي، طلب صراحة المعاونة الصادقة من الشرطة حفاظاً على أمن الشارع و الدولة في ترحيله من هذا الشارع الهادئ و القائم على قيمٍ و مبادئ لا يعرفها هذا الشرير الخالي من الشرف و الذي أجر له شقة بعمارته في غفلة من الزمن في فترة سيندم عليها طوال حياته الوردية في زمن العميان.

أما كمال الدمياطي كان له رأياً مخالفًا عند الإدلاء بأقواله ، حيث قال أنه يراه محافظًا على صلواته قدر الإمكان بالمسجد و هذا يثير شكوكه و يزيد من الشبهات حوله، و أكد أقواله بالدليل الدامغ، و هو أنه بعد كل ثلاثة أيام يأتي إليه رجلٌ ملتح كث اللحية و يظل معه لساعات طويلة من النهار و لكن للأمانة لا يعلم ماذا يدور بينهما وقتما يراقب تحركاتهما من عمارته الحديثة التي تقع أمام عمارة الدياسطي القديمة التي يسكنها ناجي.

عاد كل من المعاونين للمحقق الرئيسي يطلعانه على ما قدمه علاء الدياسطي و كمال الدمياطي من معلوماتٍ تافهة تنم عن شخصياتهما، ليتأكد من براءة ساحة ناجي من الاشتباه الذي دار حوله، إلا أنه سأله بشكل ودي، ليطمئن ضميره المهني :

- تعرف علي البهتيمي منين يا ناجي و بتجتمعوا في بيتك و الاّ في بيته ؟ و هل فعلاً اجتماعكم يومين في الأسبوع و الاّ أكتر ؟، المعلومات عندنا جاهزة بس ادينا بندردش مع بعض.

بثبات البرئ و ضعف المتذلل أن يصدقه المستمع له قال:

- يا فندم و الله ما اعرف حد بالاسم ده خالص.

- هاقرب لك المسافة، هو بلحية كبيرة و أحياناً يلبس بنطلون و قميص وأحياناً جلابية بيضا.

- يا فندم حضرتك دي مواصفات أخويا شريف بيجيلي البيت فعلاً تقريباً مرتين في الأسبوع عشان يساعدني في شغل البيت لإن مش عايز واحدة تيجي البيت تخدمني، و أنا عازب لوحدي عشان الشبهة مش أكتر.

- أخوك شريف ده ساكن فين؟ اكتب هنا عنوانه..

كتب تفاصيل العنوان، و نظر المحقق لأحد المخبرين الواقفين متأهبًا للضرب الذي يمثل له متعة حين يؤمر و قال :

- روح يا ابني انت بسرعة و خد القوة معاك وهاتلي الجدع ده ، دقايق يكون عندي.

- تمام يا فندم.

أشرقت الشمس بنور ربها و الحق فيه، خبر علي البهتيمي و ما حدث و خبر ناجي بما لم يحدث و ما لا سوف يحدث بالتخمين و التوقع كان حديث الساعة بالشارع منذ فتحت عيون الساكنين فيه، و قبل غسيل وجوههم من أدران أيامًا مضت كست عليها و هم لا يفقهون، تحرك رجال الشارع خطوات يشكلوا مجموعات متفرقة أمام مقر قسم الشرطة و من يعرف

منهم أمين شرطة يسأله، فيعطيه جملة مجاملة للجوار، فيذهب على إثرها السائل لمجموعته المنتظرة له و قد صنع حكاية محبوكة الأركان، ألصق فيها بناجي مصيبة تؤدي به لحبل المشنقة و لا مفر.

مجموعة ضمت عائلة أبوستيت يتزعمهم الحاج محيي الأرمل منذ الأمس بعد وفاة الراحلة زوجته، و أخرى يقودها فاروق النجار الشهير بالعبيط، مجموعة رفاق المسجد الذي انضم إليهم كمال الدمياطي باعتباره من الساجدين مثلهم بعد أخذ معلوماته في محضر الشرطة.

بينما هناك مجموعة وقفت بعيداً عن عيون الناس فيها السيدة الطيبة جداً التي تسكن بالدور الأرضي منتظرة خروج علاء الدياسطي بعد إدلائه بمعلوماته القيمة للمحققين، هناك أيضاً مجموعة طار إليها الخبر من خلال صبي قهوة " بوبوس " عند دخوله القسم يحمل طلبات الشاي و القهوة لبعض الأفراد داخله ، هذه المجموعة هم الأكثر تحليلاً و الأكثر إدراكاً لمناحي الحياة بخبراتهم الطويلة فيها، إنها شلة المعاشات من رواد المقهى.

المحققون جميعهم اقتنعوا بصدق إجابات ناجي، و أنه ليس له أية صلة بالشيخ علي البهتيمي الذي يعينه الله على ما يحدث فيه و له من حفلات استقبال و ترحيب بقدومه الميمون بعد القبض عليه متلبسًا وما كان في حيازته من أسلحة متنوعة، جعلت المستقبلون أيضاً متنوعين في لكمات الترحيب و صفعات

الاستقبال وغيرها أشكالاً و ألواناً حتى أصبح يرى اللون الأبيض ألوان طيف.

تم الإفراج عن ناجي و شقيقه بعد صلاة الظهر مباشرة وسط دهشة بعض المجموعات المنتظرة خارج القسم التي توقعت ترحيله إلي نيابة أمن الدولة العليا متهمًا بالمشاركة في تنظيمٍ سري لقلب نظام الحكم و تكدير الأمن العام و حيازة أسلحة نارية بدون ترخيص بغرض استخدامها في عمليات إرهابية و تخريبية و مقاومة السلطات بالقوة المسلحة.

هكذا كان وصف التهمة التي وضعها له جعفر يوتيوب الذي تلاها على شلة العواجيز قبل رؤيتهم ناجي مفرجًا عنه، مما دعا بعضهم للوم و توبيخ بعضهم قائلين:

- بعد كده يا جعفر تقفل اليوتيوب بتاعك و تفتح محل كشري أحسن.

- شوفتوا يا اخوانا، وقفة جعفر و هو بيقول التهم و بيطالب بإعدام ناجي بالرجم بالحجارة تطبيقًا للشريعة الاسلامية ؟

- مش عارف بعد كده جعفر هايبقى عنده دم و يقعد تاني على قهوة بوبوس ؟

- يا ناس خلوا بالكم جعفر أصلاً ماعندوش دم خالص، عنده يوتيوب.

ضحكات رنانة مصحوبة بحسرة ممتزجة بالشماتة تجاه " المهياص و الهجاص " جعفر.

أول من التقى ناجي و شقيقه وجها لوجه، كان المبادر و صاحب السبق على طول الدوام علاء باشا الدياسطي الذي

يرتدي نظارة شمسية أنيقة و قد رفع حاجبيه و عوج فمه و انتصب برقبته كأنه شرب لترًا من النشا البودرة المخلوط بلبن الجدي الزرايبي و قال:

- كويس إنهم سابوك، مش عايزأقولك كان ليا فضل في الموضوع ده، لعلمك أنا طلبني المأمور حسام و بعتلي مخبر البيت قالي إنه عايزني أشرب فنجان قهوة معاه في مكتبه، لما قابلته رحب بيا جامد و كل اللي في القسم قعدوا يبصوا عليا و يسألوا نفسهم : مين الشخصية دي؟، قالي و هو حاطط أيده على كتفي اتفضل يا علاء باشا لأنه كان دفعتي في ثانوي، لما دخلت مكتبه قولتله : شوف يا حسام ....

صرخة مدوية من شريف شقيق ناجي قائلاً :

- كفاية بقى ابعد و ارحمنا مش ناقصاك، يا أخي بطل بقى، أنت لسه عايش في الوهم إنك علاء، أنت شخص مالكش أي لزمة في الحياة.

- لا لا بقى لم لسانك و بطل قلة حيّا على أسيادك، كده انت خلتني أخد قرار برحيل ناجي عن الشقة فورًا.

- في ستين داهيه أنت و شقتك يا خايب، النهارده هنفضيلك الشقه و يغور اللبن اللي ييجي من وش القرد.

يتدخل ناجي مهدئاً شريف الثائر و يهمس في أذنه:

- علي مهلك يا شريف أروح فين بس و احتاس ؟ خده على قد عقله بالراحة و عدى الموقف.

ارتفع صوت شريف عن عمد ليرد اعتبار أخيه و يطمئنه :

- شقة ماما موجودة و جاهزة لاستقبالك من بعد ما كنت عندك آخر مرة.

ربت على كتف ناجي، ثم وجه الحديث لعلاء :
- يللا يا جدع أنت ابعد عن وشي.
ضحك ناجي و الشماتة تسيطر عليه قال :
- يللا يا عيييلاء ابقي خلي بالك من البدروم أصله طيب قوي و حنين ، سمعت المثل بيقول إيه يا كوتوموتو : " سألوه مبسوط ليه يا أعور.. قال أصل أنا لسه طالع من المنور "، هيئ هيئ هيئووووو.
استمع الحاج محيي أبو ستيت للحوار و نظر إلي حواريه قائلاً :
- أنا مش قلت لكم الشقة إيجار مش بيع و شرا زي ما كنتَم بتقولوا.

لمح ناجي آمال و أمها واقفتين بعيداً تتابعان خطواته و الفرحة مرسومة على كل ملامحهما و ضوء النهار قد أظهر مواطن أنوثة و جمال لم يلحظها من قبل حين المساء و الحياء، سحب ناجي شقيقه من يده متجهًا بخطوات سريعة حيث تقف آمال و قال:
- مش عارف أقولكم إيه ؟ قلت لكم قبل كده ما اعرفش أقول ، يعني لو عارف كنت شيلتكم من ع الأرض دلوقتي و طلعت أجري في البلد و أقول هي دي هي فرحة الدنيا، يا نهار ازرق ما أنا بقول أهو، تعالى معايا يا شريف نروح بيت ماما أم حسّين نشرب قهوة.
ثم وجه حديثه لآمال المحلقة فوق الأرض فرحًا و قال:
- تعرفي تعملي قهوة و الاّ هتفضحينا قدام شريف ؟

جحظت عينا آمال و قالت:
- عيوني ليك يا ناجي إنت و الأستاذ شريف.
اهتزت أركان ناجي المتعبة من ليلة أمس و رمقها نظرة حنان مودعًا خجل السنين وسط اعجاب أمها و شقيقه الأكبر شريف.
سار الأربعة في موكب المحبة النقية ليعترض طريقهم كمال الدمياطي بلا حياء ليسأل ناجي :
- إيه الأخبار ؟
يرد ناجي بهدوء ليغيظه:
- مش دلوقتي هابقى اصحيك من نومك في صلاة المغرب و أقولك الأخبار كلها، ابقى سلم لي على رئيفة و قولها طبيخك أبو بلاش حلو ها ها ها!. علي كده اللي بيدبح كلابك بيسمي عليها قبل ما يدبحها؟ ابقى هاتلي حتة اعملها بفتيك و اعزمك عليه هووو هووو هووو.

سمع الأسمر و الشقراء صوت ناجي و هو ينبح ساخرًا من كمال و قيادته مذبحة الكلاب قائلاً : هوو هوو هوو ظنا أنه ينادي عليهما أسرعا إليه فرحين من القلب بصدق الصادقين برغم ما فيهما من عرج يشكل لهما ألم و معاناة في الدوس على الأرجل الأربعة، أقبلا إليه ينبحان نبحات فرح وسعادة و هو يمسح على رأس كليهما بالعدل والمساواة وهما يلتفان حوله تارة و حول موكب الحب تارة أخرى.
كانا ينبحان و ينظران إلى قسم الشرطة من الخارج و كأنهما يرسلان رسائل لوم تصل إلى حد اللعنات لكونهما أحيانا

لا يفرقون في المعاملة بين مجرم عاتي الإجرام و آخر، لمجرد أنه تجرأ و تجاسر على القيام بالسعال بصوت مرتفع فأزعج حضرة الضابط و هو نائم يحلم برتبة نقيب.

فجأة تركاه و انقلب النباح الناعم منه و العتاب إلى صرخات وعويل بعدما لمحا أم سماح الإسكندرانية من أول الشارع تسير كما اعتادت منذ تشريفها للشارع على عكازها الصامد الصبور إلي حين، أسرع الكلبين الأسود و وليفته الشقراء يتحملان السرعة مع ألم الإصابة حتى وصلا إلى نقطة التقاء مع سيدة الشارع و النّاس نيام.

هجم الذكر الأسود على عكازها ساحبا إياه بفكيه القويين وقت الغضب لتسقط أم سماح مبعثرة على الأرض و جسمها المكتظ مترامي الأطراف فرش الأرض بلا حدود ولا نهاية ، من الواضح أن أبعاد قياسها بالبركة والبحبحة، وقت بعثرتها أرضًا، فتقدمت الكلبة الشقراء فاتنة الشارع بكل رضا و سرور و تشفي أيضاً تعضها عضتين في منطقتين بارزتين منها، بعدها يفر الكلبان و يطلقان نباح المنتصر بعد الأخذ بالثأر الذي طال أمده لليلة كاملة.

أسرع كل من كان في تجمعات انتظار ناجي نحو أم سماح المسكينة التي تصرخ ألمًا بصوتٍ رفيع يقترب من صوت فأر تم اصطياده بمصيدة حديدية، فأمسكت بذيله الطويل، ثم انهارت تبكي و تندب حظها العثرعلى عجزها عن القيام بمفردها، يتعاون شلة عواجيز مقهي الحاج بوبوس في رفعها و قد سيطر

عليهم الحذر أنفسهم في قناعة مؤقتة أن " السن له حكمه و أحكامه ".

في زحام المشاركة الوجدانية من الجميع و التعاون المثمر و جبران خاطر أم سماح المبعثرة في الجهات الأربعة.

يطلق ناجي ضحكة عالية رنانة بشكل عفوي و القلب يطلق زغاريد الفرحة، و لا يعرف أحد من الحضور المندهش في غرابة سببًا مقبولاً لضحكاته إلا هو.

تمت

لله الحمد والمنة

حسن خلف حسين

السيرة الذاتية للمؤلف

الاسم : حسن خلف حسين
أديب و روائي
مواليد بورسعيد
المؤهل : بكالوريوس تجارة (محاسبة) عام ٨٠
عضو الاتحاد الدولي للشعراء والأدباء العرب
يميل لكتابة الأدب الاجتماعي والأدب الساخر
hassan.khalf@gmail.com

صدر له :
رواية " زبدة و جبنة وعجوة "
رواية " أحمق ملك روحي"
رواية " روح و ريح الجنوب"
تحت الطبع :
رواية " امرأة من بارود "

الفهرس

بطاقة الكتاب ٢

إهداء ٢

الفصل الأول ٥

الفصل الثاني ١٩

الفصل الثالث ٣٥

الفصل الرابع ٤٩

الفصل الخامس ٦٥

الفصل السادس ٧٧

الفصل السابع ٩١

الفصل الثامن ١٠٧

الفصل التاسع ١١٩

الفصل العاشر ١٣٣

السيرة الذاتية للمؤلف ١٤٣

الفهرس ١٤٤